حكاية
مكتبة الأسكندرية القديمة

حسام الحداد



حكاية
مكتبة الإسكندرية القديمة

حسام الحداد

وزارة الثقافة



سلسلة
حكاية مصر

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• حكاية مكتبة الاسكندرية القديمة
• حسام الحداد
القاهرة 2013م
5ر13 x 5ر19 سم
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
• المراجعة اللغوية: ممدوح بدران
• رقم الإيداع: ١١٢٢٨/ ٢٠١٣
• الترقيم الدولى: 978-977-718-407-6
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع امين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

20
سلسلة شهرية للشباب تعنى بنشر تاريخ مصر

إهـــداء

إلى..

أمينة عبد الله، بتول الحداد

صاحبات الفضل فى إنتاج هذا الكتاب

نصر حامد أبو زيد، ابتهال يونس علمونا الحب والطريق

إلى المعرفة

وش مصر.. زين العابدين فؤاد

المقدمة

يتناول هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ حكاية مكتبة الإسكندرية القديمة التى كانت فى وقت ما مركزا للإشعاع الحضارى والثقافى للعالم القديم، تلك المكتبة التى أسست للعلم الحديث فى شتى فروع المعرفة وكانت منارة يهتدى العالم بها فى مجالات شتى، وتحكى تاريخ عصرين من عصور الاحتلال الأجنبى هما العصر البطلمى والعصر الرومانى إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر واختفى دور المكتبة من التاريخ، وأطلق المؤرخون على العصر الذى ظهرت فيه مكتبة الإسكندرية العصر الهيلينستى، وهو عصر ذو ملامح محددة تختلف عن ملامح العصور السابقة عليه، فقد انصهرت الحضارات الشرقية مع الحضارة الإغريقية فى بوتقة واحدة، وتولدت حضارة جديدة هى الحضارة الهيلينستية، وهى

حضارة ليست غربية ولا شرقية، بل إنها جمعت مابين الشرق والغرب فى تناغم جميل، يعكس الأفكار التى سادت المكتبة وعلمائها فى المساواة بين البشر، وبذل الجهود المضنية للتقريب بين الشرق والغرب.

كان هذا العصر غنيا بالتفاعلات الحضارية والسياسية بين مصر وكافة المناطق الأخرى انطلاقا من الإسكندرية العاصمة ومكتبتها التى كانت تمثل مركز العلم والمعرفة فى هذا العصر، وقد استمر هذا التفاعل الحضارى بين مصر وجاراتها طوال العصر البطلمى وكان لمصر دورها المؤثر حتى فى فترات الضعف، وتجلى ذلك فى عهد الملكة كليوباترا السابعة، التى يعد عهدها بمثابة صحوة الموت للدولة البطلمية، وفى عام ٣٠ ق.م سقطت هذه الدولة، وأصبحت مصر ولاية رومانية وعلى الرغم من ذلك فإنها كانت ولاية متميزة بين ولايات الإمبراطورية الرومانية وكان من أهم أسباب تميزها وجود مكتبة الإسكندرية وجامعتها التى نتناول الحديث عنهما بين طيات هذا الكتاب، والتى كانت مركزا لنشر العلوم والفنون والآداب فى هذه الفترة التاريخية.

ورغم أن مصر كانت تحت الاحتلال البطلمى وبعده الرومانى إلا أن الإسكندر الأكبر منذ أن وطئت قدماه أرض مصر، قال إنه ابن الإله أمون، وتشبه بالفراعنة وحمل ألقابهم، وسار على دربه خلفاؤه من البطالمة، وكانت كليوباترا السابعة حريصة على أن تتشبه بالربة المصرية إيزيس، وقد سار الأباطرة الرومان على نفس النهج،

وحرصوا على أن يتم تصويرهم على جدران المعابد المصرية فى هيئة الفراعنة، بل إن بعضهم سارع ببناء معابد للآلهة المصرية فى روما ذاتها، ولم يكن هذا الانبهار بمصر على المستوى الرسمى فقط، بل على مستوى الأفراد أيضا، فمن المعروف أن بطليموس الأول فتح أبواب مصر على مصراعيها أمام الأجانب للاستقرار فى مصر خاصة الإغريق، ولم يلبث هؤلاء الأجانب أن عبدوا الآلهة المصرية وتعلموا اللغة المصرية، ومن ناحيتهم فإن المصريين لم ينغلقوا على أنفسهم بل أقبلوا على الحضارة الإغريقية، وانصهر المصريون والإغريق فى بوتقة واحدة، ومع ازدياد حالات التزاوج بين الفريقين أصبحت التفرقة بين المصريين والإغريق أمرا شديد الصعوبة.

الكتاب الذى بين يدى القارئ الآن ينقسم إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، ويعد التمهيد بمثابة فصل من فصول هذا الكتاب حيث يتناول مكتبة الإسكندرية القديمة من خلال نظرة عامة بداية من إنشائها على يد ديمتريوس الفاليرى واقتناء مجموعات الكتب وتقسيم المكتبة وإنشاء جامعتها، والسر فى عظمة هذه المكتبة وشهرتها فى العصر البطلمى والعصر الرومانى وأمناء المكتبة. أما الفصل الأول فينطلق من الإسكندرية نشأتها وتأسيسها والمجتمع السكندرى وتنوعه فى العصر البطلمى والعناصر المكونة لهذا المجتمع حيث كان ينقسم السكان إلى إغريق، ويهود، ومقدونيين، ومصريين، بجانب بعض الجاليات الإفريقية والآسيوية كذلك كيفية تقسيم أحياء المدينة.

يتناول الفصل الثانى الحديث عن مكتبة الإسكندرية القديمة وجامعتها وعلمائها بداية من تأسيس المكتبة والأبعاد الحضارية لها، ونبذة عن أشهر علماء المكتبة فى العصرين البطلمى والرومانى وما قدمه هؤلاء العلماء من إنجاز فى شتى فروع المعرفة بداية من إقليدس إلى هيباشيا . أما الفصل الثالث من هذا الكتاب فيتناول البذور الأولى للعلم الحديث وبدايات تأسيس شتى العلوم الحديثة فى مكتبة الإسكندرية القديمة والدور الذى قامت به المكتبة فى المزج الثقافى بين الحضارات واستقلال العلم ثم الروافد الفلسفية والعلمية للتراث الثقافى فى مدرسة الإسكندرية، ويأتى الفصل الرابع من هذا الكتاب للحديث عن حريق مكتبة الإسكندرية وزوالها من خلال ثلاث روايات تؤكد حريق المكتبة أكثر من مرة عبر تاريخها بداية من الحريق الذى نشب فى الميناء الشرقى عام ٤٨ ق.م على يد يوليوس قيصر وامتد إلى المكتبة وأتلف جزءا منها ثم الحريق الثانى على أيدى البطاركة الرومان عام ٣٩٩ م وكان المقصود به الحرب ضد الوثنية مما أتلف جزءاً كبيراً من مكتبة الإسكندرية القديمة إلا أن هناك روايات تؤكد أن فناء المكتبة فناء تاما كان على يد عمرو بن العاص بعدما دخل الإسكندرية وأمر بإحراق مكتبتها وسوف نتناول تلك الروايات بالتفصيل فى حينه .

المعرفة كانت هنا
مكتبة الإسكندرية القديمة

تمهيد :

وصف كارل ساجان عالم الفلك الأمريكى لمكتبة الإسكندرية القديمة :

" كانت المكتبة الأسطورية عقل ومجد أعظم مدينة على الكوكب وأول مركز للأبحاث العلمية فى تاريخ العالم .

عاش فى هذا المكان مجتمع من العلماء يستكشفون آفاق علوم الفيزياء واللغويات والطب والفلك والجغرافيا والفلسفة والرياضيات والبيولوجيا والهندسة . هنا فى مكتبة الإسكندرية تجمعت أول محاولات جادة لمعرفة العالم»[١] .

المكتبة

كانت مكتبة الإسكندرية القديمة حصيلة جهد بطولى سجله تاريخها. قام بإنشائها ديمتريوس الفاليرى - سياسى وفيلسوف اثينى زامل الإسكندر الاكبر فى دراسته على يد أرسطو فى مدرسة المشائين الفلسفية - بتكليف من بطليموس الأول " سوتر ".

بدأ ديمتريوس الفاليرى باقتناء مجموعات من الكتب عن إدارة الممالك من جميع أنحاء العالم كما حرص بطليموس الأول أن يكون المكان مقرا لحوارات الفلاسفة المشائين فى مجالات الرياضيات والطب والفلك والهندسة. وتقول الموسوعة البريطانية " إن أغلب المكتشفات الغربية فى مجالات العلم قد تمت دراستها ووضع أسسها فى مكتبة الإسكندرية على مدى ٦٠٠ عام " (٢).

كان هناك مكتبتان على الأقل، إحداهما فى القصر الملكى والأخرى فى السرابيوم (معبد الإله سرابيس).

وكان هناك قاعة ضخمة للأكل وكان يتوسط المتحف مرصد وتحيطه قاعات للدراسة. ويقدر عدد القائمين بالدراسة فى المتحف فى كل وقت بحوالى ٢٠-٥٠ دارسًا كانت تقوم بأودهم الأسرة المالكة.

كان أول رؤساء المكتبة هو ديميتريوس الفاليرى الذى ترك اثينا عام ٣٠٠ ق.م وهرب إلى الإسكندرية، ثم هرب منها أيام بطليموس الثانى.

وكانت أول مهام ديميتريوس الفاليرى - كما كلفه بطليموس

الأول - هى جمع الكتب وترجمة ما كان منها بلغة أجنبية. وكان من أوائل أعمال الترجمة هى ترجمة التوراة (العهد القديم) إلى اللغة اليونانية من اللغة العبرية، وتم ذلك بعزل ٧٢ راباى يهودى لمقارنة ترجمة بعضهم ببعض، ولذلك أطلق على هذه الترجمة اسم السبعينية.

سر عظمة وشهرة مكتبة الإسكندرية القديمة

ترجع شهرة مكتبة الإسكندرية القديمة (ببلتيكا دي لي إكسندرينا) إلى أنها أقدم مكتبة حكومية عامة في العالم القديم وليس لأنها أول مكتبات العالم، فمكتبات المعابد الفرعونية كانت معروفة عند قدماء المصريين ولكنها كانت خاصة بالكهنة فقط والبطالمة أنفسهم الذين أسسوها كانوا يعرفون المكتبات جيدا، كما ترجع عظمتها أيضا إلى أنها حوت كتب وعلوم الحضارتين الفرعونية والإغريقية وبها حدث المزج العلمي والالتقاء الثقافي الفكري بعلوم الشرق وعلوم الغرب، فهي نموذج للعولمة الثقافية القديمة التي أنتجت الحضارة الهلينستية حيث تزاوجت الفرعونية والهلينية، وترجع عظمتها أيضا إلى عظمة القائمين عليها حيث فرض على كل عالم يدرس بها أن يدع بها نسخة من مؤلفاته ولأنها أيضا كانت في معقل العلم ومعقل البردي وأدوات الكتابة (مصر) حيث جمع بها ما كان في مكتبات المعابد المصرية وما حوت من علم أون وأخيرا، وليس آخر تحرر علمائها من تابو السياسة والدين

والجنس والعرق والتفرقة فالعلم فيها كان من أجل البشرية، فالعالم الزائر لها أو الدارس بها لا يسأل إلا عن علمه لا عن دينه ولا قوميته.

الحكماء

فاق عددهم المائة في أكثر فترات المكتبة تألّقاً فكانوا ينقسمون إلى فريقين حسب التصنيف الذي وضعوه هم بأنفسهم (الفيلولوجيون والفلاسفة):

كان الفيلولوجيون يدرسون النصوص والنحو بكل تعمّق فبلغت الفيلولوجيا مرتبة كبرى العلوم فكان لها اتصال بعلم التاريخ والمثيوغرافيا. بينما يدرس الفلاسفة بقية العلوم سواء كانوا مفكرين أو علماء.

و من بين أجيال العلماء الذين تعاقبوا على مكتبة الإسكندرية وعملوا بها الساعات الطوال للدراسة والتمحيص، عباقرة حفظ التاريخ أسماءهم مثل أرخميدس (مواطن سيراقوسة)، وطوّر بها إقليدس هندسته، وشرح هيبارخوس للجميع حساب المثلثات وطرح نظريته القائلة بجيومركزية العالم فقال إنّ النجوم أحياء تولد وتتنقّل لمدة قرون ثمّ تموت في نهاية المطاف، بينما جاء أريستارخوس الساموسي بالأطروحة المعاكسة أي نظرية الهليومكزية (وهي القائلة بحركة الأرض والكواكب الأخرى حول الشمس وذلك قبل كوبرنيكوس بعدّة قرون).

نجد كذلك ومن بين جملة العلماء الذين عملوا في المكتبة إراتوستينس والذي ألّف جغرافيّةً وأنجز خريطة على قدر كبير من الدقّة، وهيروفيلوس القلدوني وهو عالم وظائف استنتج أنّ مركز الذكاء هو الدماغ وليس القلب.

كما كان من روّاد المكتبة الفلكيون طيمقريطس و أرسطيلو وأبولونيوس البرغامي وهو رياضي معروف، وهيرون الإسكندراني مخترع العجلات المسنّنة وآلات بخارية ذاتية الحركة وصاحب كتاب أفتوماتكا وهو أول عمل معروف عن الروبوتات.

وعمل في مرحلة لاحقة وحوالي القرن الثاني في نفس المكان الفلكي كلاوديوس بطليموس وعمل بالمكتبة أيضا غالينوس الذي ألّف أعمالاً كثيرة حول فن الطب والتشريح. ومن آخر أعلام الموسيون نجد امرأة تدعى هيباتيا أو هيباشيا وهي رياضية وفلكية كانت لها نهاية مأساوية وميتة شنيعة على أيدي بعض الكهنة المسيحيين.

التوسعة

إنّ المكتبة كانت جزءا من الموسيون ولكنها وفي مرحلة لاحقة اكتسبت أهمية وحجما كبيرين وبالتالي أصبح من الضروري إنشاء ملحق على مقربة منها.

يعتقد أن الملحق أو "المكتبة الوليدة" أنشئت بأمر بطليموس الثالث إفيرغيتيس، حيث أنشئ هذا الملحق على هضبة حي

راكوتيس (والمعروف اليوم بحي كرموز)، في مكان من الإسكندرية بعيدا عن شاطئ البحر في معبد قديم شيّده البطالمة الأوائل للإله سيرابيس وسمي السرابيوم.

استطاعت هذه المكتبة الصمود وعبور القرون مكتسبة كسابقتها شهرة وأهمية كبيرتين في شتى أرجاء العالم. و قد حافظ الأباطرة الرومان، فيما بعد، على المكتبة وطوّروا تجهيزاتها بنظام تدفئة مركزية بمد أنابيب عبر الحوائط وذلك للحفاظ على جفاف الجو داخل المستودعات الأرضية.

أمناء المكتبة

جمع ديمتريوس الفاليرى اليونانى نواة مكتبة الإسكندرية، وهو في بلاد اليونان. كما يمكن أن يطلق عليه مؤسس فكرة المكتبة، ولو أن هذا الشرف أو أكثر منه ينبغى عدلا أن ينسب إلى الملكين الأول والثانى من البطالمة. إذ كان بطلميوس الأول (سوتير) هو الذى أمر بتأسيس المكتبة وتنظيمها على نفقته، ثم أكمل ذلك خلفه بطلميوس الثانى (فيلادلفوس). ومن ثم ينبغي أن نقول إن مكتبة الإسكندرية، هي بمثابة إنجاز مشترك لسوتر وفيلادلفوس وديمترويوس.

ومما لا ريب فيه أن أمناء مكتبة الإسكندرية، لقوا من أنواع التعب المكتبية مثلما يلقى الأمناء في المكتبات الجامعية الحديثة. إذ كان من الصعب التوفيق بين ما يطلبه عامة القراء والمتخصصون، بتوزيع الكتب بين المكتبة الأم والمكتبات المتخصصة.

كان زينودوتوس الأفيسى على الأرجح هو أول أمين للمكتبة.
وكان على رأس الأشخاص الذين خدموا بالمكتبة ديمتريوس الفاليرى (حوالي ٢٨٤ ق.م)، وزينودوتوس الأفيسى (٢٨٤- ٢٦٠ ق.م)، وكاليماخوس البرقاوى (٢٦٠- ٢٤٠ق.م)، وأبوللونيوس الرودسى (٢٤٠- ٢٣٥ ق.م)، وإراتوستثيس البرقاوى (٢٣٥- ١٩٥ ق.م)، وأريستوفانيس البيزنطى (١٩٥-١٨٠ ق.م)، وأبوللونيوس إيدوجرافوس (١٨٠- ١٦٠ ق.م)، وأريستارخوس الساموتراقى (١٦٠-١٤٥ ق.م).

***

الهوامش:

١ - نشأة العلم فى مكتبة الإسكندرية / سمير حنا صادق - دار العين للنشر ٢٠٠٢

٢- (المصدر السابق).

الفصل الاول:

الإسكندرية القديمة.. نظرة عامة

اسست الإسكندرية لا لتكون عاصمة للدولة الوليدة فحسب، بل لتكون مدينة عالمية، وذلك للمرة الأولى من نوعها[١] لقد عهد الإسكندر الأكبر بتخطيط المدينة إلى بينوكراتيس الروديسى الذى كان أعظم المهندسين المعماريين فى عصره، إذ ينسب له العديد من الإنجازات المعمارية والفنية الضخمة مثل تصميمه لمعبد ارتميس بمدينة أفسوس، وتصميمه للتمثال الضخم الذى نحت للإسكندر فى إحدى قمم جبل آثوس[٢].

تتفق المصادر على أن مدينة الإسكندرية قد بنيت على مساحة ضيقة من الأرض يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب بحيرة مريوط، ويتوسطها طريقان كبيران أحدهما أطول من الآخر، والأطول كان يسمى الطريق الكانوبى ويمتد من الشرق إلى الغرب،

والطريق الأقل طولا يقع عموديا عليه، وقد كان مركز المدينة يقع عند تقاطع هذين الطريقين. وكانت الشوارع الأخرى موازية لهذين الطريقين بما يشبه تقسيم رقعة الشطرنج.

قسمت المدينة إلى أربعة أحياء حسب تقاطع الطريقين الرئيسين فيها، وقد سميت هذه الأحياء الأربعة بالأحرف اليونانية الأولى وكان أبعد هذه الأحياء يقع فى الغرب وكانت غالبية سكانه من المصريين، وكان الحى الشمالى الشرقى حى اليهود، أما الحى الجنوبى الشرقى فقد احتوى على القصر الملكى والمتحف والمكتبة ومقابر البطالمة وضريح الإسكندر ودار الصناعة البحرية والكثير من الحدائق الفسيحة(٣) فكانت الإسكندرية خليطا من الأجناس المختلفة.

وقد كان اختيار الإسكندر لهذا الموقع لبناء مدينته الجديدة لعدة أسباب، وربما كان متأثرا كما هو الاعتقاد السائد حديثا، بما وجده من تشابه بين هذا الموقع وموقع مدينة صور حيث أراد لمنشأته الجديدة أن تبلغ ما بلغته صور من الأهمية التجارية والبحرية، على أن الإسكندرية كانت ذات مزايا حقيقية لها قيمتها، كان إنشاء الموانئ العظيمة المعروفة فى العصور الهيلينية لاينم إلا بعد القيام بأعمال كثيرة واسعة النطاق، ولكن تكوين الساحل الشمالى الغربى لمصر ووجود جزيرة فاروس على مقربة من الشاطئ أثار فى نفس الإسكندر فكرة القيام بهذه الأعمال بل سهل تنفيذها، وكان وجود بحيرة مريوط خلف هذا الموقع واتصالها بالنيل مما أتاح فرصة

وجود ميناء عذب المياه سهل الاتصال من جانبى البحر والنهر، ذلك إلى أن نظام التيارات المائية فى شرق البحر المتوسط يعرض الموانى الساحلية لأن تسد بالرواسب أما الإسكندرية فلا تعتريها هذه الشائبة، ثم لعل هناك سببا آخر له طابع سياسى فراقودة بلدة متواضعة ليس لها مجد تالد وإذا فلا يخشى أن تصطدم المؤسسة الهيلينية الجديدة التى تقوم على أنقاضها بأى تقاليد أو نظم موروثة فيها بل ويرجى لها التقدم فى ظل الحضارة والثقافة الهيلينية غير وجلة من وطأة تقاليد وطنية قديمة.

وفوق ذلك فإن تأسيس الإسكندرية جاء نتيجة طبيعية لحملة الإسكندر العامة على الشرق، فبلاد الإغريق خرجت لغزو آسيا كيما تفرض عليها عاداتها وديانتها ولغتها وأصبحت الهيلينية غير محصورة فى نطاق بحر إيجه وجزائر بحر الأرخبيل بل أخذت تتغلغل فى الشرق البعيد فلم تعد أثينا قادرة على أن تبقى عاصمة للعالم الجديد الممتد من شواطئ الهند والخليج الفارسى تجتازه تجارة الفرس وبلاد العرب والقوافل الليبية والمراكب الفينيقية، فكان على الإسكندر أن يختار عاصمة جديدة ومرفأ يتسع لهذه المتاجر ويكون خليقا بمملكته العالمية، وكان الإسكندر بغزوه بلاد الشرق المترامية الأطراف يعتبر نفسه ملكا شرقيا وخليفة لملوك الفرس العظام وكان ينوى أن يربط تحت لوائه وسلطانه أثينا وبابل وبلاد الإغريق وآسيا المتأغرقة، وعلى ذلك وجد من الضرورى أن يؤسس مدينة تكون خليقة بعاصمة هذا الملك العريض، فيكون موقعها الفذ

وسيلة لتحقيق هذا الاتحاد المنشود فاختار الإسكندرية كيما تقوم بهذا الدور، وكانت مؤسسته في مركز وسيط تقع في وسط البحر الأبيض الهيليني وعلى مسافة متساوية تقريبا من بلاد الإغريق وآسيا الصغرى وسوريا وتصل إليها عن طريق البحر وبحيرة مريوط تجارة ذات شقين فمن الشمال اسابت تجارتها إلى مواني كل من البحرين الأدرياني والأسود ومن الجنوب اتصلت عن طريق النيل وخليج العرب بمجاهل أفريقيا وأقاصى آسيا فهي إذا ميناء مثالية تفد إليها المتاجر من كل صوب في تلك الإمبراطورية الشائعة.

وأخيرا كانت الإسكندرية مؤسسة جديدة لا تنتمي إلى أي شعب ولا إلى أي مملكة ولا يتسبب عن قيامها استفزاز لغيرة مدينة أخرى مناهضة وفيها كان يلتقي الوافدون من أقاصى البلاد المختلفة إغريقية أو غيرها، وفي هذه البوتقة تختلط الشعوب فلا تلبث أن تصبح عنصرا واحدا وتصبح المدينة في الوقت نفسه مركزا تلتقي فيه ثلاث قارات وموطنا لكل هذه الشعوب.

بعد وفاة الإسكندر اقتسم قواده مملكته فكانت مصر من اختصاص بطليموس الأول وكان بطليموس سياسيا بارعا يجمع بين الاعتداد بالرأي والدأب في السعي. كان يأخذه العناد حينا ويتخذ سبلا مختلفة للوصول لأهدافه وكان يعمد إلى اتخاذ القوة والحرب أداة لتحقيق أهدافه التي لا يستطيع الوصول إليها بالطرق السلمية والدبلوماسية وكان حسن التقدير بعيد النظر فلم يشأ أن ينازع القواد الآخرين فيمن يتولى منصب نائب الملك في حكم

الإمبراطورية كلها بل قنع بالاستلاء على مصر الغنية وعمل على أن ينقل إليها جثة الفاتح العظيم الإسكندر وسار بداية على خطة الإسكندر ونهجه فكان يشجع اختلاط اليونانيين بالمصريين، ويولى المصريين بعض الوظائف الرئيسية ثم غير هذه السياسة وأحل محلها مع المصريين سياسة الفاتح مع المهزومين وهى السياسة التى احتذاها أخلافه وساروا فيها على طريقته إلى أن بدا ضعف ظاهر على ملوك أسرة البطالمة فاضطروا أن ينهجوا نهجا آخر فقدموا ترضيات وإعفاءات لرعاياهم من المصريين. ولعل نقل مقر الحكومة إلى الإسكندرية كان العنوان الظاهر الدال على تغيير مجرى السياسة القديمة.

***

نظرة عامة على المجتمع السكندرى

إن الأبعاد المتعددة التى أعطاها البطالمة لعاصمة ملكهم الجديدة قد ساعدت كثيرا فى تحويل هذه المدينة إلى ملتقى عالمى للعديد من العناصر والجنسيات التى تنتمى لقارات العالم الثلاث المطلة على البحر المتوسط والتى استقر قسم من أبنائها فى الإسكندرية بينما كانت إقامة القسم الآخر عابرة مؤقتة.

لقد أراد البطالمة أن يكون لعاصمتهم مركز دولى فى العالم المتأغرق وسلكوا، فى سبيل تحقيق ذلك، كل الطرق التى وجدوها فى متناول أيديهم. وهكذا وجدنا أول حكام هذه الأسرة يحرص على أن ينقل جثمان الإسكندر إلى الإسكندرية، وهو يقدم على

ذلك رغم قرار مؤتمر بابل الذى حدد مكان دفنه فى مقدونيا. وقدكان ضريح الإسكندر دون شك كعبة لسكان العالم المتأغرق، فقد عبد الإسكندر كإله، وعلى أقل تقدير فقد حقق بانتصاره على الإمبراطورية الفارسية فى حياته القصيرة ما كان يعتبره اليونان معجزة غير قابلة للتحقيق. ولنا أن نتصور أفواجا عديدة مستمرة وهى قادمة إلى الإسكندرية من المدن اليونانية، وربما غير اليونانية، التى كانت تطل على القسم الشرقى للبحر المتوسط، لتحج إلى هذا الضريح، الذى يحوى جثمان الإسكندر، ولقد أصبح الضريح فعلا أحد المعالم الرئيسية فى الإسكندرية، إن لم يكن أهم هذه المعالم.

كذلك كانت الإسكندرية هى المركز الرئيسى لعبادة سرابيس. وقد انتشرت هذه العبادة خارج مصر بشكل ظاهر، بحيث أصبح من المرجح أن البطالمة كانوا يهدفون من وراء تشجيع هذه العبادة إلى هذا الانتشار الخارجى قبل أن يكون غرضهم منها هو التقريب بين الإغريق والمصريين داخل البلاد، وكما كان الحال فيما يخص ضريح الإسكندر، فليس من العسير أن نتصور قدوم أعداد من أتباع هذه العقيدة وقد أتوا إلى الإسكندرية فى زيارات للمقر الرئيسى لعبادة هذا الإله، إن انتشار عبادة سرابيس فى العالم المتأغرق لم يكن انتشارا سطحيا بحيث يصبح سرابيس مجرد إله جديد يضيفه سكان هذه المنطقة إلى آلهتهم فى عصر درج على تعدد الآلهة، وبالتالى فإن إضافة إله جديد فيه قد لاتعنى فى كل الأوقات شيئا كثيرا. وإنما كان لهذا الانتشار جذور عميقة فى الوقت نفسه، فقد

كانت عقيدة سرابيس من العقائد القليلة التى تشبث بها الوثنيون وناضلوا لاستبقائها حين بدأت المسيحية تغزو الحوض الشرقى للبحر المتوسط.

وإذا كان الإغريق يتوافدون على الإسكندرية، كمركز أدبى للعالم المتأغرق بسبب ضريح الإسكندر وعبادة سرابيس، فإن توافدهم على هذه المدينة ازداد بسبب دعامة ثالثة أو ركن ثالث من أركان هذا الوضع الأدبى، وهو جامعة الإسكندرية. وقد كان علماء هذه الجامعة وامناء مكتبتها ينتمون إلى مناطق عديدة من العالم المتأغرق فمن بين أمنائها على سبيل المثال، نجد ارستوفانيس ينتمى إلى بيزنتيون (بيزنطة)، وارستارخوس ينتمى إلى جزيرة ساموتراتيه كذلك أبوللودوروس يأتى من أثينة.... إلخ هؤلاء الذين أثروا الفكر والأدب والعلوم فى المكتبة وسيأتى ذكر كل منهم فى حينه.

لم يكن مركز الإسكندرية الدولى مقصوراً على البعد الأدبى كما ذكرناه وحسب بل أيضا هناك البعد التجارى الذى كانت الإسكندرية مركزا أساسيا له فى شرق المتوسط.

كذلك تظهر المجموعة المتنوعة من الأجناس التى كانت تغدو إلى الإسكندرية إما بصفة مؤقتة كمبعوثين، أو كأجانب مقيمين. ومن أمثلة النوع الأول أعضاء الوفود الذين كانوا يأتون إلى الإسكندرية من أغلب أنحاء العالم المتأغرق ليحضروا الأعياد أو الاحتفالات التى كان البطالمة يقيمونها كل أربعة أعوام على نمط أعياد اليانآثيتاية

التى كان يقيمها الآثينيون فى أثينة كل أربعة أعوام كذلك . ويوجد الآن فى المتحف الرومانى فى مدينة الإسكندرية عدد من الأوانى الجنائزية التى كان يودع فيها رماد الجثث لبعض هؤلاء المبعوثين الذين كان يوافيهم الموت أثناء مقامهم فى الإسكندرية .

فقد كان من بين الأسباب التى أدت إلى تعدد الأجناس فى الإسكندرية بشكل يضفى عليها العالمية ، اعتماد البطالمة على الجنود المرتزقة بشكل متزايد فقد كانت الإسكندرية مركزا لحامية عسكرية كبيرة بحكم أنها العاصمة .

فى مثل هذا الوضع نستطيع أن نتخيل شوارع الإسكندرية وهى تغص بعديد من العناصر التى كانت تضم اليونانيين الآتين من مختلف مناطق البحر المتوسط ، والإيطاليين والقيليليين والأحباش والعرب والوافدين من الهند وفارس ، كما نستطيع ان نتصور المتجول فى هذه الشوارع وقد ترامت إلى أذنيه كافة اللهجات واللغات الأوروبية والآسيوية والإفريقية .

العناصر المكونة للمجتمع السكندرى

سوف يقتصر الحديث هنا عن سكان الإسكندرية من حيث وضعهم كفئات أو أقسام دائمة يتكون منها المجتمع السكندرى لها حياتها الخاصة ، وهنا نجد أن بعض العناصر التى كانت تقيم فى الإسكندرية كانت بشكل جاليات لها كيانها الذاتى وتنظيماتها الخاصة وتتمتع بدرجات متفاوتة من الحقوق والامتيازات ، كما كان

البعض الآخر من هذه العناصر يعيش فى المدينة دون أن يكون لهم هذا الكيان. كذلك كان المنتمون لكل عنصر يقيمون عادة حيًا من الأحياء التى كانت المدينة تنقسم إليها. فاليونانيون والمقدونيون مثلا كانوا يقيمون فى الحى الملكى، واليهود فى حى الدلتة، والمصريون فى حى راقوده (كوم الشقافة) وحى فاروس (راس التين والأنفوشى).

لم يكن المصريون الذين أقاموا فى الإسكندرية يتمتعون بحقوق المواطنة السكندرية، ومن ثم لم يكن لهم كيان محلى خاص من الناحية المدنية، وإنما كانت الصفة الوحيدة لهم هى صفتهم كرعايا بشكل مباشر للحكومة المركزية الممثلة فى حاكم المدينة، وقد كانوا عادة من أصحاب الحرف الصغيرة. وقد ظلوا فى مجموعهم محافظين على صبغتهم الوطنية بعيدا عن مؤثرات الحياة والحضارة الإغريقية، ورغم ذلك استطاع أفراد منهم أن يصلوا إلى مراكز اجتماعية ممتازة مثل الكهنة القائمين على عبادة سرابيس، كما كان منهم من شغل بعض وظائف البلاط الملكى فى الجزء الأخير من حكم البطالمة(٤).

وقد كان أبرز هذه الجاليات المكونة للمجتمع السكندرى هم اليونان الإغريق ومن بينهم كانت فئة السكندريين التى كان أفرادها يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة فى كافة المجالات سواء منها السياسية مثل الاشتراك فى المجالس التشريعية أو الاجتماعية مثل حق امتلاك أراض فى المدينة، هذا إلى جانب امتيازات أخرى مثل

الإعفاء من أعمال السخرة ومن بعض الضرائب .

وهناك عنصر آخر من السكان وهم اليهود وقد كان لهم حى خاص يعيشون فيه وكانت لهم جالية مثل اليونانيين والمقدونيين، وعنصر آخر هو الفرس، الذين كانوا يأتون من ناحية الوضع الاجتماعى بعد طائفة اليهود .

الهوامش:

١-جورج سارتون : تاريخ العلم - الجزء الرابع - دار المعارف ١٩٧٠ ص ٥٠ .

٢- نفس المصدر .

٣- نفسه ص ٥٣-٥٤ .

٤-لطفى عبدالوهاب يحيى - دراسات فى العصر الهلنسيتى -ص ٣٢٨ .

الفصل الثانى:

جامعة الإسكندرية القديمة وعلماؤها

جامعة الإسكندرية القديمة

يجمع المؤرخون على أن الإسكندرية كانت موطنا لأقدم جامعة متكاملة عرفها التاريخ القديم، بينما الحقيقة أنه قد سبقها في مصر ذاتها معهد أو جامعة (أون) القديمة، والتى كانت موطنا لتعلم الكثير من فلاسفة اليونان القدامى أمثال طاليس وفيثاغورس وديمقريطس وأفلاطون[١] لقد كانت هذه الجامعة من أهم معالم الإسكندرية منذ إنشائها، فقد كان بطليموس الأول والثانى حريصين على نشر الثقافة اليونانية. وأنشئ معهد " الموسيون " بالإسكندرية ليكون نواة لهذه الجامعة المتكاملة التى استهدفت نشر الثقافة اليونانية فى العالم الشرقى.

بداية النزعة العلمية فى المكتبة:

ستراتون اللامبساكي تلميذ أرسطو الذى استدعاه بطليموس الأول إلى مصر حوالى عام ٣٠٠ق.م ليقوم بمهمة تعليم ابنه وولى عهده حتى عام ٢٩٤ق.م أقام هذه السنين بالإسكندرية ثم عاد بعدها إلى أثينا ليتولى رئاسة " اللوقيون " بعد وفاة ثيوفراسطس.

وقد قام ستراتون أثناء هذه السنوات التى قضاها فى الإسكندرية بدور كبير فى إضفاء الطابع العلمي على " الموسيون"، إذ لم يكن باستطاعة ديمتريوس الفاليرى أو الشاعر فيليتاس أن يقوما بهذا الدور لأن كلا منهما لم يكن مهتما بالعلوم، بينما كان ستراتون متفوقا فى فروع المعرفة العامة، وفى الطبيعيات على وجه الخصوص.

وقد حاول ستراتون أن يقيم الطبيعيات على أسس تجريبية دون الاستنباط من المسلمات الميتافيزيقية، وليس معنى أنه ركز فى أبحاثه على العلم والتجربة أنه تجاهل الأخلاق باعتبارها أحد فروع الفلسفة الهامة لأنه بفضل رئاسته للوقيون كان لابد وأن يهتم بكل فروع الفلسفة.

من كل ما سبق يتضح لنا أن ديمتروس الفاليرى وستراتون قد أسسا " الموسيون " على جناحين هما : الأدب والعلوم، وقد اختلطت هذه الآداب وتلك العلوم بالفلسفة التى كان الاثنان قد درساها وتعلماها فى المدرسة الأرسطية "اللوقيون". ومن هنا كانت بداية شرارة عصر العلم فى مكتبة الإسكندرية القديمة لتخرج لنا أجيالا مختلفة فى العلم والآداب والفلسفة. فالمكتبة لم تكن منفصلة عن

المعهد " الموسيون" فلقد أنشئت لا لتكون مجرد خزانة كتب، بل لتكون أيضا بمثابة دار نشر الدولة، وقدّ روعى أن تكون ذات طابع موسوعى يهدف إلى الإحاطة الشاملة بكل شيء وبشتى المعارف، فلو أحضر أى إنسان غريب عن مصر أى كتاب حتى ولو كان غير معروف كان لزاما عليه أن يقدمه لينسخ منه الناسخون نسخة تضاف إلى مجموعة الكتب الموجودة بالمكتبة(٢).

فوجود المؤسستين معا " المكتبة والموسيون" كان له أكبر الأثر فى ازدهار الدراسات الإنسانية ذات الطابع العلمى، كما كان له أكبر الأثر فى كثرة اهتمام علماء الطبيعيات بشئون الآداب والدراسات النفسية والدينية، والدراسات الإنسانية عموما. حيث أدى هذا التواصل والتكامل بين الدراسات العلمية التجريبية والدراسات الإنسانية النظرية فى الإسكندرية إلى جذب مشاهير العلماء والأدباء والمفكرين الذين توافدوا عليها من كل أنحاء العالم الإغريقى، فقد وفد إليها كليخاموس الشاعر من برقة، وهروفيلوس الجراح وعالم التشريح، وارستراتوس عالم وظائف الأعضاء من آسيا الصغرى، كما أتى هبارخوس الفلكى من نيقية. وغيرهم الكثير.

وقد بلغ من قوة وسمعة الإسكندرية بمعهدها العلمى ومكتبتها خاصة فيما يتعلق بالعلوم العلمية حدا يجعل اميانوس ماركلينوس يكتب مشيرا إلى ذلك " أن خير تزكية كان فى إمكان أى طبيب أن يحصل عليها هى أن يقال إنه أتم دراسته فى جامعة الإسكندرية"(٣).

الأبعاد الحضارية لمكتبة الإسكندرية القديمة :

كانت مكتبة الإسكندرية، الإطلالة الفكرية الأولى التى تضيء طريق المعرفة وتنير مناهج البحث وتخترق حواجز التقدم فى غير حدود أو قيود لتنير العقل. وقد ظلت مكتبة الإسكندرية لعدة قرون مركزا من أهم مراكز الفكر الإنسانى، لاحتوائها على مجموعات فريدة من المؤلفات العلمية والفلسفية والأدبية، فقد أصبحت الملجأ والملاذ لعدد كبير من المؤلفين والمفكرين الذين كانوا يتوافدون عليها على مر القرون ليستمتعوا بكنوزها وينعموا بذخائرها. ففى مكتبة الإسكندرية القديمة ازدهرت علوم الدين والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والتشريح والزراعة والجغرافيا والتاريخ والفكر والفلسفة والآداب والشعر والنقد والفنون التشكيلية وغيرها.

أولا :- البعد الحضارى المصرى :

لم تكن المكتبة القديمة بالإسكندرية تقل أهمية عن نهر النيل بحال من الأحوال ولا ينتقص من هذه الأهمية كون البطالمة هم من أسسوها، وقد كان وجود نبات البردى والذى يستخدم فى صناعة الورق حافزا مهما لصناعة المخطوطات لتدوين مختلف العلوم وإيداعها فى المكتبة وكانت بمثابة الجسر الرابط بين الثقافة والحضارة الإغريقية وبين الحضارة المصرية القديمة فالحضارة الإغريقية بعد إنشاء المكتبة وتدعيم أسسها غلب عليها الطابع المصرى حيث العبادات والعادات والأزياء وغيرها فالبطالمة فى الواقع قد تمصروا

من جميع النواحى الدينية والثقافية والحضارية، وقلدوا إيزيس وأوزوريس وغيرهما.

ثانيا :- البعد الحضارى العالمى

كانت العلوم والمعارف قبل مكتبة الإسكندرية إقليمية إلى حد بعيد، ولكن بفضل إنشاء المكتبة أضحت المعرفة عالمية فقد كانت التربة الصالحة التى احتضنت الفكر الإغريقى وغيره ولم تكن المقتنيات فى المكتبة مقصورة على مدرسة معينة ولكنها كانت وطنية لكل المدارس وعالمية لكل الثقافات والحضارات فلم تنحز لمدرسة فكرية دون الأخرى أو لحضارة دون غيرها. كانت تمثل تعددية فكرية وتجاوراً حضارياً ما أمسنا فى الاحتياج إليه الآن معلمة العالم لغة التجاور والحوار.

أهم علماء المكتبة

أقليدس (٣٢٥-٣٦٥) ق.م

من أهم علماء الرياضيات فى العصور القديمة صاحب كتاب " الأوليات" الذى نهل منه كل العلماء حتى أوائل القرن العشرين. عاش ودرس فى الإسكندرية حيث أسس مدرسة للدراسات العميقة فى الرياضيات فى الإسكندرية. وأغلب المعلومات التى تتوفر عن اقليدس من الذين كتبوا عنه ومن اهمهم بابوس الذى قال عنه " إنه كان محبا لكل من يرغب فى تطوير الرياضيات وحريصا على عدم إغضاب أحد منه " .

بقى من كتبه "المعطيات" data الذى كان يحتوى على ٩٤ فرضاً، وكتاب "عن القسمة" on division الذى يقدم طريقة تقسيم شكل إلى قسمين بنسب محددة. كما كتب " البصريات " وهو أول كتاب عن المنظور فى الرسم. وكتب "الظواهر " وهو دراسة عن الرياضيات المتعلقة بالفلك.

وإذا عدنا إلى " الأوليات " فإننا سنكتشف أن هذا العمل العظيم قد ترجم إلى العربية عدة مرات في القرن التاسع : كانت الأولى على يد الحجاج بن يوسف في مصر ، والذى ترجمه مرتين : مرة بأمر من الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩ ميلادية) ومرة أخرى بأمر من الخليفة المأمون (٨٢٣-٨٣٢) وترجمه للمرة الثالثة حنين بن إسحق (٨٠٨-٨٧٣) ثم راجعه ثابت بن قرة (٨٣٦-٩٠١) ثم نصير الدين الطوسي (١٢٠١-١٢٧٤) وقد تعرف الأوروبيون على أقليدس عن طريق هذه الترجمات وغنى عن القول أن الكثير من أعمالهم العلمية قد بنيت على هذه الترجمات. وكان أول من ترجمه عن العربية هو اديلارد (١١٢٠) الذى تنكر في زى طالب مسلم وألف بعد ذلك كتابا مختصرا له. وتلى ذلك العديد من الترجمات كان أهمها ترجمة جيرارد (١١١٤-١١٨٧) فقد ترجم العديد من الأعمال العربية فترجم حوالى ٨٠ عملا عن العربية وكان أشهرها " الماجستى " كما ترجم ارسطو واقليدس وجالينوس وكان من أهم ترجماته " القانون " لابن سينا.

يحتوى كتاب العناصر على أجزاء عديدة ، فالجزء الأول إلى الرابع يتعلق بهندسة المسطحات ، فقد كان أقليدس يؤمن بأن بناء هندسة ورياضة منطقية يعتمد على وضع أسس قوية لها. فوضع تعريفات للنقطة والخط والمساحة ثم وضع خمس بديهيات :

أولا : بين كل نقطتين توجد مسافة توصلهما ببعضهما البعض.

ثانيا : من الممكن مد أى لخط إلى مالا نهاية.

ثالثا : من الممكن تحديد أى دائرة إذا حددنا مركزها ونقطة على محيطها .

رابعا : تتساوى كل الزوايا القائمة .

خامسا : إذا قطع خط مستقيم خطين مستقيمين وكان مجموع الزاويتين الداخليتين أقل من زاويتين قائمتين، فإن الخطين سيلتقيان إذا امتدا من ناحية الزاويتين (وقد نالت هذه البديهية كثيرا من النقد) .

ثم وضع خمس " أفكار عامة " :

١- الأشياء التى تعادل شيئا واحد تتعادل .

٢- اذا اضيف رقمان متساويان إلى رقمين متساويين فإن حصيلة الجمع فى كل حالة تتفق مع الأخرى .

٣- إإذا طرحت أرقام متساوية من أخرى متساوية فإن النتائج فى كل حالة تكون متساوية .

٤- إذا تطابق شيئان فإنهما متساويان .

٥- الكل أكر من الجزء .

احتوى الكتاب الأول على هذه "المسلمات" التى سبقها بثلاثة وعشرين تعريفا مثل " النقطة لا تتجزأ" و"الخط له طول وليس له عرض" .

يحتوى الكتاب الثانى على أشياء مثل "التقسيم" أى تقسيم الخط إلى جزأين بحيث تكون نسبة الجزء الأصغر إلى الجزء الأكبر تعادل نسبة الجزء الاكبر إلى الخط الكامل تقريبا " ١الى ١بم٦" وقد

استولت هذه القسمة على فكر الرياضيين ثم ظهرت على شكل ما يسمى "المستطيل الذهبى" الذى تعادل أضلاعه النسبة المذكورة والذى انتشر أمره بين فنانى النهضة.

يناقش الكتاب الثالث خواص الدوائر.

ويناقش الكتاب الرابع خواص الاشكال متعددة الأضلاع خصوصا خماسى الأضلاع.

يناقش الكتابان الخامس والسادس النسبة والتناسب.

أما الكتاب السابع والثامن والتاسع فتناقش نظرية الأرقام وتعرف فيها الأرقام الزوجية والفردية والأولية وطرق الوصول إلى القاسم المشترك الأعظم بين رقمين وأكثر.

وتناقش الكتب من الحادى عشر إلى الثالث عشر التجسيم.

من المسلمات العشر وأفكار عامة استنتج أقليدس ٤٦٥ نظرية وكان هذا أول إثبات لأهمية إثبات حقائق معينة بناء على مسلمات فى الرياضة.

ظلت هندسة أقليدس تدرس فى المدارس والجامعات طيلة ألفي سنة وحتى الآن رغم أن هناك هندسة بديلة تستعمل الآن تستمد اسمها أيضا من أقليدس، فهى تسمى : الهندسة غير الإقليدية.

هيروفيلوس (٣٣٥-٢٨٠) ق.م

عمل فى مكتبة الإسكندرية فى الفترة ما بين ٣٠٠ - ٢٦٠ ق.م وترك لنا إرثا كبيرا من العلوم الطبية.

لقد كانت إحدى المشاكل التى تواجه العلوم الطبية هى تحريم تشريح الجسم البشرى. ولكن عمليات التحنيط، ووجود العديد من الحيوانات الشديية فى حدائق المكتبة، ساعد هيروفيلوس على وضع أسس علم التشريح والتشريح المقارن.

ولقد كانت إنجازات هيروفيلوس عظيمة بالفعل:

فقد أثبت أن المخ وليس الكبد والقلب هو مقر العواطف والذكاء. وقد قام بدراسة الجهاز الهضمى، ووصف الاثنى عشر وأعطاها اسمها الذى عرفت به حتى الآن كما درس البروستاتا وأعطاها اسمها كذلك وقاس نبضات الدم بساعة مائية وقام بإثبات أن حيض النساء هو عملية فسيولوجية وليست مرضية.

ووصف هيروفيلوس أجزاء من الغشاء السميك المغطى للمخ، كما وصف جزءا من المخيخ وأطلق عليه اسم "قلم الكتاب" وإلى جانب هذا كله، قام هيروفيلوس بدراسة تشريح العين والكبد والغدد اللعابية والبنكرياس والغدد الجنسية فى الجنسين.

اريستاركوس (٣١٠-٢٣٠) ق.م

تتلمذ على يد أقليدس وكانت الصورة المقبولة للكون فى هذا الوقت تقول بأن الأرض مركز الكون وأن الشمس والكواكب تدور حولها فى مدارات كاملة صحيحة، وكانت هذه الصورة التى تبناها أرسطو مثالا واضحا على أسلوبه فى التفكير: فلا محل عنده للمشاهدة والتجربة، إنما تتم معرفة الحقائق بممارسة الفكر والمنطق،

وبما أن الأرض هى مقر الآلهة، فلابد أن تكون مركز الكون، وبما أن الكواكب أجسام سماوية، فلابد أنها تدور فى أفلاك دائرية لأن الدائرة هى أكمل الأشكال الهندسية.

ولكن اريستاركوس وضع المسمار الأول فى نعش هذه النظرية، فلقد أثبت برياضياته التى تعلمها من أقليدس أن الشمس هى مركز ما حولها من كواكب وأن الأرض وغيرها من الكواكب تدور حول الشمس ولكن الرواقى كلينشيس أعلن أن اريستاركوس يجب أن يعاقب بتهمة الكفر. ورفض نظرية اريستاركوس بطبيعة الحال وناله الكثير بسببها ودفنت بعده مؤقتا إلى أن عادت إلى الحياة أيام كوبرنيكوس.

ارازيستراتوس

أبو علم وظائف الأعضاء "الفسيولوجيا" عاش وتتلمذ فى المكتبة، اكتشف الفرق بين أعصاب الحركة وأعصاب الإحساس ولكنه كان يعتقد أن الأعصاب هى أنابيب تحمل سوائل. ووصف صمامات القلب وعرف وظائفها، وهو أول من تبنى نظرية النفسية.

أرشميدس(٢٨٧-٢١٢) ق.م

ولد أرشميدس سنة ٢٨٧ قبل الميلاد في جزيرة صقلية، وكان والده فلكياً شهيراً، وكمعظم الشباب آنذاك سافر إلى الإسكندرية ثم إلى اليونان طلباً للدراسة، ويعد الكثير من مؤرخي الرياضيات

والعلوم أرشميدس من أعظم علماء الرياضيات في العصور القديمة، وهو أبو الهندسة. وقد قتل أرشميدس سنة ٢١٢ قبل الميلاد على يد الرومان بسبب أدوات القتال التي تسببت في أن يحارب الرومان ثمانية أشهر لفتح اليونان.

ومن أشهر اكتشافاته، طرق حساب المساحات والأحجام والمساحات الجانبية للأجسام، وأثبت القدرة على حساب تقريبي دقيق للجذور التربيعية واخترع طريقة لكتابة الأرقام الكبيرة. وهو نفسه الذي حدد قيمة (باي) (Pi) وهي العلاقة بين محيط الدائرة وقطرها بدقة عالية. أما في مجال الميكانيكا فارشميدس هو مكتشف النظريات الأساسية لمركز الثقل للأسطح المستوية والأجسام الصلبة واستخدام الروافع ومخترع قلااووظ أرشميدس.

ومن أبرز القوانين التي اكتشفها قانون طفو الأجسام داخل المياه والذي صار يعرف بقانون أرشميدس. وقال عنه العالم الرياضياتي جاوس إنه واحد من أعظم ثلاثة في العلوم الرياضية مع كل من اسحاق نيوتن وفردناند إيسنستن.

ايراتوستينوس (٢٧٥-١٩٥) ق.م

عندما تولى بطليموس الثالث الحكم أقنع ايراتو بالانتقال إلى الإسكندرية لتولى تعليم ابنه بطليموس الرابع ثم تولى إدارة المكتبة عام ٢٤٠ق.م وقام بالكثير من الأعمال التى اختفى معظمها ولم يتبق سوى القليل ومن أهم أعماله كتاب عن الرياضيات التى بنى

عليها أفلاطون فلسفته الذى درسه ثيون والد هيباشيا وكتب عنه إن ايراتوسيثنوس ناقش فيه التعاريف الرياضية والهندسية كما بحث في مواضيع أخرى مثل الموسيقى.

وكانت معجزته إثبات كروية الأرض وإجراء قياس دقيق لمحيطها.

لاحظ ايراتوسيثنوس أن الشمس تتعامد تماما على الأرض عند أسوان فى ظهر يوم ٢١ يونيو من كل عام ففى هذا الوقت تختفى ظلال المسلات ويمكن رؤية انعكاس صورة الشمس على سطح المياه في الآبار العميقة، وهى ملحوظات سهلة يمكن أن تمر على أى إنسان ولكن ايراتوسيثنوس لم يكن عاديا.

وضع عصا طويلة رأسية فى الإسكندرية فى نفس اللحظة من يوم ٢١ يونيو ولكنه وجد للعصا ظلا وتعجب أن أشعة الشمس، لبعدها عن الأرض، تسقط عليها متوازية. فإذا كانت الأرض مسطحة فلابد، وفقا لهندسة اقليدس، أن العصا الرأسية يكون لها نفس الظل على الأرض فى كل مكان وهكذا أثبت كروية الأرض.

ولم يكتف بذلك فقام بقياس زاوية سقوط أشعة الشمس على العصا الرأسية فى الإسكندرية فى ظهر يوم ٢١ يونيو، وكانت هذه الزاوية تقدر بما يعادل ٧ درجات وأرسل مبعوثا لقياس المساحة بين الإسكندرية وأسوان وكانت ما يعادل ٨٠٠ كم، مد ايراتوسيثنوس رياضيا الخط الرأسى للعصا فى الإسكندرية والخط الرأسى للعصا فى أسوان واثبت بالهندسة الأقليدية أنهما سيلتقيان فى مركزالكرة الأرضية بزاوية تعادل ٧ درجات وهى الزاوية بين أشعة الشمس

المتوازية الرأسية فى أسوان والإسكندرية وتمكن بهذه المعلومات من قياس محيط الأرض بما يعادل ٤٠م٠٠٠ كم وهو رقم لا يختلف إلا بنسبة ١٪ عن أدق الحسابات الحديثة.

أبولونيوس (٢٦٢-١٩٠) ق.م

ولد فى ايونيا - انطاكيا - تركيا ومات فى الإسكندرية حيث أتى لها وهو صغير طالبا للعلم والمعرفة وتتلمذ على يد تلامذة اقليدس وكان لأعماله تأثير كبير على علم الرياضيات، خصوصا كتابه " المخروطات " الذى عرفنا بأوصاف نستعملها اليوم مثل "القطع المكافئ" و "القطع الناقص" و "القطع الزائد".

كان هذا الكتاب ثمانية أجزاء بقى منها أربعة فقط بلغتها الإصلية إما الترجمات العربية فقد بقى منها سبعة أجزاء.

وكان ابولونيوس من أوائل من قاموا بتأسيس علم رياضيات الفلك باستعمال نماذج لتفسير حركة الكواكب ومن كتبه " المرآة الحارقة " حيث أوضح أن الأشعة المتوازية الساقطة على المرآة المقعرة لن تنعكس على مركز الدائرة. وكان له تطبيقات لنظرياته عن المخروطات. فقد صنع مزولة مرسوما عليها الساعات على سطح قطاع فى مخروط مما جعلها أكثر دقة مما سبقها. كذلك كانت قطاعات ابولونيوس أساس اكتشاف كبلر لقواعده عن حركة الكواكب حول الشمس، تلك القواعد التى حطم بها نظريات أرسطو عن الدوائر الكاملة التى تسير فيها الكواكب المقدسة.

هيباركوس (١٩٠-١٢٠) ق.م

عاش أغلب حياته بين رودس والإسكندرية. ويتميز بين أعماله عملان: أولهما رسم خريطة فلكية اعتمد عليها بطليموس في تحرير كتابه " الماجستي " كما أنه استطاع قياس المسافة بين الأرض والقمر بدقة بالغة. فقد قدرها بحسابات بأنها تتراوح بين ٥٧-٥٩ ضعف نصف قطر الكرة الأرضية - والرقم الصحيح هو ٦٠ ضعف نصف قطر الأرض، علاوة على إضافاته الواسعة لعلوم الفلك فقد قام بتبني قضيتين كانت إحداهما صائبة والثانية خاطئة فالقضية الأولى هي مهاجمته بقسوة بالغة لأعمال الدجالين والمنجمين في كثير من كتاباته وكانت القضية الثانية هي هجومه العنيف على فكرة مركزية الشمس التي اقترحها اريستاركوس. وتولى القضاء عليها بعده بطليموس إلى أن أعادها إلى الحياة كوبرنيكوس في القرن السادس عشر.

ديونيسيوس (١٠٧-٦٨) م

وضع أول كتاب عن نحو وصرف اللغة اليونانية وامتد نفوذ هذا الكتاب إلى أن أصبح نموذجا للنحو والصرف في الإمبراطورية الرومانية، ثم للهجات الشائعة في العصور الوسطى وعصر النهضة. وقد كتب كتابي "التقليد في الكتابة" وعن "التعليق على الخطباء القدماء" وعن "النطق السليم" وهو الكتاب الوحيد عن مبادئ تكوين الجمل وعن النطق الصحيح والصوتيات، ويعرف اللغويون

المعاصرون الكلام على أساس كتابات ديونيسيوس بأن له أربعة مكونات : أولها علم الأصوات الكلامية، ثم الصرف، ثم تركيب الجمل وإعرابها، ثم دلالات الألفاظ وتطورها.

هيرون

أهم أعماله كتاب " القياسات " وهو الكتاب الذى لم يكتشف إلا عام ١٨٩٦ ويجمع فى ثلاثة أجزاء قواعد الهندسة التى جمعها هيرون من مصادر متعددة، يمتد بعضها إلى البابليين، عن المساحات والأحجام عن طريقة لحساب الجذر التربيعى ماتزال مستعملة فى بعض الآلات الحاسبة حتى الآن.

وكان من أهم كتبه أيضا كتاب عن "المساحة " ويصف فيه آلة الديوبتر التى تقوم بوظيفتها الآن المزواة التى يستخدمها المساحون. كما كتب تعليقات على " الأوليات " لإقليدس ويجيء ذكره كثيرا فى هذا المجال فى ترجمات أبو العباس الفضل بن حاتم التبريزى (٨٦٥- ٩٢٢).

بطليموس (٨٥-١٦٥) م

ولد فى جنوب مصر وتوفى فى الإسكندرية. هو كاتب "الماجستى" وهوالكتاب الذى ظل أهم مراجع علم الفلك على مدى ١٤ قرن والى جانب " الماجستى وضع كتبا عديدة أهمها "الجغرافيا" وفيه حاول وضع ما هومعروف عن الكرة الأرضية بين خطوط الطول

ودوائر العرض. ولكنه كتاب مليء بالأخطاء التي استعملها كولومبوس.

ووضع كتابًا آخر في " البصريات " وفيه يقدم بعض الآراء عن الألوان والانعكاس والانكسار والمرايا المختلفة.

جالينوس (١٢٩-١٩٩) م

تعلم ودرس في مكتبة الإسكندرية على مدى أكثر من عقد واكتسب فيها ما أنتجه من علم. تمكن في مكتبة الإسكندرية من تشريح الحيوانات خصوصا نوعا من القردة يطلق عليه اسم بربرى واختفى هذا النوع تقربا من العالم ماعدا بعض منه يعيش في جبل طارق. قام جالينوس إلى جانب هذا بتشريح الخنازير والماشية والماعز وطور بذلك أسس علم التشريح المقارن. درس جالينوس تشريح الأعصاب ووصف منها سبعة في الرأس تعرف الآن باسم "أعصاب الجمجمة" ودرس أيضا العضلات والعظام ووظائفها وأثبت أن أحد الأعصاب هو المسئول عن الصوت وتمكن من إدراك أنه بقطع النخاع الشوكى في مناطق معينة يتسبب في أنواع مختلفة من الشلل.

بابوس

يعد بابوس آخر الفلكيين العظام القدماء. فقد بزغ اسمه في المكتبة واعظم اعماله هي تأريخه للمكتبة في كتابه " المؤتمر " فقد أرخ فيه وسجل كتب اقليدس وابولونيوس وهيروفيلس

وايراتوسثينوس وغيرهم مما أدى إلى بقاء محتويات هذه الكتب حتى بعد فقدانها.

ثيون (٣٣٥-٤٠٥ م)

ولد ومات في الإسكندرية وعرف عنه انه راقب خسوف القمر في ١٦ يونيو ٣٦٤ في الإسكندرية وأنه أيضا سجل كسوف الشمس في ٢٥ نوفمبر من نفس العام.

كان ثيون والدا ومربيا لابنته هيباشيا وهذا في حد ذاته عمل مجيد. ولكنه قام كذلك بالمراجعة والإضافة إلى كثير ممن سبقوه مثل بطليموس " الماجستي " وأعمال اقليدس المتعددة.

أفلوطين (٢٠٤ م. - ٢٧٠ م.)

يعتبر الفيلسوف اليوناني أفلوطين، الذي ولد في العام ٢٠٤ م، في مدينة ليكوبوليس في مصر، وتوفي في العام ٢٧٠ م، في بلدة كامبانيا قرب روما؛ الممثل الرئيسي للمدرسة الأفلاطونية الجديدة. نشأ في وسط متأثر بالفلسفة والعقائد الشرقية، وتتلمذ لمدة أحد عشر عامًا تقريبًا (ما بين ٢٣٢ م، و٢٤٣ م) في الإسكندرية، على يد أمونيوس زاكاس الذي يمكن اعتباره المؤسس الفعلي للأفلاطونية الجديدة. عن هذه المرحلة من حياته، كتب تلميذه ومؤرخ سيرته بورفيريوس.

أخذه أحد أصدقائه لزيارة أمونيوس الذي لم يكن يعرفه بعد. فما إن دخل واستمع إليه حتى قال لصديقه: هذا هو الإنسان الذي كنت

أبحث عنه. ومنذ ذلك اليوم، دأب على معاشرة أمونيوس وهيرينيوس وأوريجينيوس الذين اتفق معهم على الحفاظ على سرّانية العقائد التي كان أمونيوس قد شرحها لهم بوضوح.

اطلع أفلوطين على الفلسفة الرواقية، ودرس الفلسفة الهندية. أمّا في عام ٢٤٤ فقد انتقل إلى روما حيث أسس، في ظلّ حكم الإمبرطور فيليبوس العربي، مدرسته الأفلاطونية الجديدة التي لاقت رواجًا عظيمًا ودعمًا كبيرًا من قبل الإمبرطور غاليانوس، والتي كان أفلوطين مديرها وحامي عقيدتها وكان من أهم تلامذته بورفيريوس الذي خلفه على رأس المدرسة بعيد وفاته في عام ٢٧٠.

فلسفته

يَعتبر أفلوطين نفسه شارحًا ومفسراً لفلسفة أفلاطون، فقد كتب بهذا الخصوص قائلاً:

الذكاء هو سبب كل شيء، لذلك يدعو أفلاطون الخير المطلق بالأب، ويعتبره مبدأ يسمو على الذكاء وعلى الجوهر. ففي مقاطع عديدة، يسمي الكائن والذكاء بالفكرة. لذلك نراه في تعاليمه يقول إن الذكاء يلد من الخير، وأن الروح تلد من الذكاء. وهذه العقيدة ليست جديدةً: فقد جرى التبشير بها منذ أقدم الأزمنة؛ لذلك، ومن دون التوسع بشرحها تحديداً؛ لأننا لا نريد هنا إلاّ أن نكون المفسرين للحكماء الأوائل، فإننا سنبين استناداً إلى أفلاطون أن العقائد التي كان يحملها القدماء هي نفسها عقائدنا.

والإنيادس التي نستشهد بها أعلاه، هي العمل الأوحد لأفلوطين. الذي جمعه من بعده في تسعة كتب، وصنفه في ست مجموعات، تلميذه وخليفته بورفيريوس. في عمله هذا، يؤكد أفلوطين على وجود يتجاوز العالم الحسّي منطلقًا من ثلاثة أقانيم أساسية:

- حيث هناك أعلى من الجميع، وأعلى حتى من الكائن، ذلك الواحد بحد ذاته - وأفلوطين يقارب هنا مفهوم الخير الذي تحدث عنه أفلاطون في الجمهورية - هذا الذي يشكل نقطة الانطلاق لـ"تشكل" الأقنومين الآخرين: فيجعلهما ينبثقان من فيضه الخاص. لأنه ذلك الكامل الذي يتجاوز كل الفضائل، ذلك الذي لا يمكن وصفه، والذي هو الأب الكلّي واللاوجود معًا.

- أمّا الإقنيم الثاني فهو العقل البدئي Logos، أو الذكاء، الذي من أولى صفاته معرفة ذاته، ووعيه لها. ونلاحظ أن أفلوطين يتناقض هنا مع أفلاطون، حيث يؤكد على أن الأفكار والملموسات لا تعلو على العقل البدئي، ولا تنفصل عنه. إنما هي تشكل واحداً مع الذكاء، الذي يكتشف نفسه، ويمر عليها، لأنه كائن "متعدد" جذريًا.

- أمّا الأقنوم الثالث، فهو الروح، "تلك التي لا تهدأ"، والتواقة إلى الفعل. وهي عامل تناغم، لأنها لم تنس "وقائع ما في الأعالي" من جهة، ولأنها، من منظور آخر، تستوعب كل الأجسام وتحيي كل نفوس هذا العالم الحسيّ المتصل بالشر؛ من هنا كانت جرأتها.

أما الروح الفردية، فيتوجب عليها دائمًا تذكّر "أصلها النبيل"

أي علاقتها البدئية بالأقنوم الثالث، وذلك كي لا تضلّ طريقها في هذا العالم. وبوسعها ذلك عن طريق الاهتداء - وليس عن طريق التذكُّر كما كان يعتقد أفلاطون الذي كان أفلوطين على خلاف معه حول هذه النقطة أيضًا - (هذا الاهتداء) الذي يمكنها، مستندةً إلى مشاركتها للروح الكونية، من التغلُّب على عواطفها وعلى الجسد (فحسب بورفيريوس، كان أفلوطين "يخجل من كونه في جسد") ما يغلِّب دائمًا الجانب "العاقل" على الجانب "غير العاقل".

ونشير هنا، إلى أنه يتوجب علينا عدم النظر إلى الذكاء كجزء من هذه الروح الفردية: لأنه بوسعنا تملكه فقط حين نستخدمه، وإلاّ فنحن لا نملكه. لكن استخدام الذكاء، بمعنى التفكر بالاعتماد عليه، يجعلنا "ننتقل إلى الجانب الأوضح، ونجذب أفضل ما في الروح"، كما يجعلنا نتمتع بفكر حدسي يستبعد الفكر الهدّام.

وهكذا، طالما كانت الروح تسعى للاتحاد مع الروح الكونية، فإنها تمارس سيطرتها على الأشياء. وبالعكس، إن تعلقت بجسد محدد بسبب فتنة طبيعية، فإنها تضيع نفسها. لكنه يبقى من الممكن دائمًا بالنسبة لها، لأنها خالدة، أن تتطهر من خلال حيواتها المتكررة، وأن تتحد في النهاية مع الإله الواحد.

ونشير هنا في النهاية، إلى أن هذه العقيدة أثرت كثيراً على التصوف الغربي (بدءاً من يعقوب بوهمه، مروراً ربما بالقديس أغوستينوس)، كما أثرت بأشكال مختلفة على فلاسفة كبار كلايبنتز وشوبنهاور وبيرغسون.

مؤلفاته

كما سبق أن أشرنا، تعتبر الإنيادس المؤلف الأوحد لأفلوطين. وهي تتألف من:

- الإنيادس الأولى: وتحتوي على تسعة فصول هي: ١- ما هو الحيوان؟ (بحث). ٢- في الفضائل (بحث). ٣- في الجدلية (بحث). ٤- في السعادة (بحث). ٥- هل تزداد السعادة بمرور الزمن؟ (بحث). ٦- في الجمال (بحث). ٧- في الثروة الأولى وفي باقي الثروات (بحث). ٨- ما هي المصائب وما هو سببها؟ (بحث). ٩- في الانتحار المنطقي (بحث).

- الإنيادس الثانية: وتحتوي على تسعة فصول هي: ١- في الأرض والسماء (بحث). ٢- في حركة السماء (بحث). ٣- في تأثير النجوم (بحث). ٤- في المادتين (بحث). ٥- ما المقصود بـ"بالقوة" وبـ"بالفعل"؟ (بحث). ٦- في النوعية وفي الشكل (بحث). ٧- في الخليط الكلّي (بحث). ٨- لماذا تبدو الأشياء التي ننظرها من بعد صغيرة؟ (بحث). ٩- ضد الذين يدّعون أن الفيض العالم سيئ وأن العالم شرير (أي ضد الغنوصيين) (بحث).

- الإنيادس الثالثة: وتحتوي على تسعة فصول هي: ١- في القدر (بحث). ٢- في العناية الإلهية، جزء أول (بحث). ٣- في العناية الإلهية - جزء ثان (بحث). ٤- في الشيطان الذي تقاصمنا (بحث). ٥- في الحب (بحث). ٦- في عدم تأثر الأشياء غير المادية (بحث). ٧- في الأزلية وفي الزمن (بحث). ٨- في الطبيعة

وفي التأمل وفي الواحد (بحث). ٩- اعتبارات مختلفة (بحث).

- الإنيادس الرابعة: وتحتوي على تسعة فصول هي: ١- في جوهر الروح (بحث). ٢- كيف تتبوأ الروح مكان الوسط بين الجوهر الذي لا ينقسم والجوهر الذي ينقسم؟ (بحث). ٣- تساؤلات حول الروح جزء أول (بحث). ٤- تساؤلات حول الروح جزء ثان (بحث). ٥- تساؤلات حول الروح جزء ثالث (بحث). ٦- في الحواس وفي الذاكرة (بحث). ٧- في خلود الروح (بحث).

٨- في نزول الروح في الجسد (بحث). ٩- هل تشكل كل الأرواح روحًا واحدة؟ (بحث).

أمونيوس ساكاس (؟؟؟ م - ما بين ٢٤٠ و٢٤٥ م)

أمونيوس ساكاس فيلسوف يوناني من الإسكندرية، كان أستاذ أفلوطين ومؤسس المدرسة الأفلاطونية الجديدة التي انطلقت من روما.

سيرته:

ما نعرفه عنه قليل جداً. ويقال على لسان تلاميذه إنه ولد في الإسكندرية من أبوين مسيحيين، وأنه كما يدلّ اسمه ساكاس عمل خلال فترة من حياته حمالاً في مرفأ الإسكندرية.

هل كان مسيحيًا؟ يقول بورفيريوس إنه تنكّر لمسيحيته. أما أوزيبيوس والقديس جيروم فيؤكدان أنه بقي مؤمنًا بها.

بعد مرحلة طويلة من الدراسة والتأمل، افتتح أمونيوس في الإسكندرية مدرسته الفلسفية التي كان من أهم تلاميذها هيرينيوس، أوريجينوس الأفلطوني، لونجينوس، وخاصةً أفلوطين الذي يقال إنه تتلمذ على يده ما يقارب العشر سنوات حيث أخذه أحد أصدقائه لزيارة أمونيوس الذي لم يكن يعرفه بعد. فما إن دخل واستمع إليه، حتى قال لصديقه: هذا هو الإنسان الذي كنت أبحث عنه. ومنذ ذلك اليوم دأب على معاشرة أمونيوس وهيرينيوس وأوريجينيوس الذين اتفق معهم على الحفاظ على سرّانية العقائد التي كان أمونيوس قد شرحها لهم بوضوح.

لا نعرف تاريخ ميلاده، كما أننا لسنا متأكدين من تاريخ وفاته الذي يقال إنه كان ما بين ٢٤٠ و٢٤٥ ميلادية.

فلسفته:

لم يترك أمونيوس أي عمل مكتوب. إذ إنه، وبمعونة تلاميذه، حافظ، كما كان يفعل الفيثاغوريون، على سرّانية تعاليمه. لذلك فإن ما نستخلصه عنه مصدره -خاصةً- كتابات تلميذه أفلوطين. منه ومما يقوله دارسوه بوسعنا أن نقول إن عقيدته كانت أقرب إلى الأفلاطونية منها إلى أفلوطين. حيث يقول هيروكلس الإسكندراني الذي كان من المعجبين به إن عقيدته التي كانت بشكل رئيسي انتقائية وتوفيقية، استندت إلى دراسة نقدية لأرسطو وأفلاطون وحاولت التوفيق بين مدرستيهما:

أخيراً أشعت حكمة أمونيوس، الذي يبجّل فيطلق عليع اسم "الملهم من الله" . لأنه كان هو الذي طهّر أفكار الفلاسفة القدماء فبدد الأوهام التي انبثقت من كل جانب، وأعاد الانسجام في الأمور الأساسية ما بين فلسفتي أفلاطون وأرسطو. لقد كان أمونيوس الإسكندراني، الملهم من الله، أول من تمسّك بحماس بالفلسفة الحقيقية، وترفع عن الآراء العامّية التي جعلت من الفلسفة موضوع احتقار، فتفهم عقيدة أفلاطون وأرسطو، وجمعهما في روح واحدة، وقدّم الفلسفة بسلام لتلاميذه أفلوطين، وأوريجينوس ومن خلفهما.

وفيما يتعلّق بالوحدة التي تجمع بين الروح وبين الجسد، كتب نيميسيوس الحمصي عن أمونيوس ساكاس، الذي يعتبره أفلاطونياً، يقول:

هكذا كان أمونيوس، أستاذ أفلوطينّ، يشرح هذه المسألة التي تشغلنا (مسألة العلاقة بين الروح وبين الجسد)، بأنه من طبيعة المدرَك أن يتحد مع من بوسعه استقباله بحميمية تشبه تلك التي تتحد بها الأشياء التي تتفاعل مع بعضها، وفي نفس الوقت، أن يبقى (أي المدرَك) طاهراً غير ملوث، كما هي حال الأشياء غير المحاذية. وبالفعل، فإن ما نلاحظه بالنسبة للأجسام أن الوحدة تؤثر على تلك الأجزاء التي تتقارب لتشكل أجساما أخرى؛ فهكذا تتحول العناصر إلى أجسام مركبة، ويتحول الطعام إلى دمٍ، والدمُ إلى لحمٍ وإلى أجزاء أخرى من الجسم. أمّا بالنسبة للمدرَك فإن الاتحاد يتم من دون تغيير، لأنه من طبيعة المدرَك الجوهرية ألاّ تقبل التغيير.

فهو قد يزول أو يختفي من الوجود لكنه لا يتغير. لكن المدرك لا يزول، لأنه إن كان يزول لما كان أزليًا؛ وكما الروح هي الحياة، فإنها إن تغيرت بسبب اتحادها مع الجسد، تصبح شيئًا آخر ولا تبقى هي الحياة. عندها ما الذي بوسع الروح أن تقدمه للجسم، إن لم تعطه الحياة؟ ما يعني أن طبيعة الروح لا تتغير حين تتحد بالجسد.

يامبليخوس

يُعرف أيضاً باسم يامبليخوس الخلقدوني أو الخلقيسي، أديب إغريقي من أصل سوري عاش في ذروة العصر الإمبراطوري الروماني الذي شهد فيه الشرق الهلنستي - وخاصة سورية - نهضة علمية وفكرية وأدبية كبيرة. اشتهر بروايته الموسومة «حكايات بابلية» ويعد من أقدم كتاب القصة الإغريقية. ويحمل اسمه طابعاً عربياً خالصاً - على الرغم من شكله الإغريقي - وهو من الأسماء المعروفة في سورية في العصر الروماني، وهو من أعلام الأفلاطونية المحدثة، ويرد بكثرة في نقوش صفوية وعربية. لا يعرف كثير عن حياة هذا الأديب إلا ما أورده في ثنايا روايته الشهيرة.

ولد يامبليخوس نحو عام ١٢٥م وكتب روايته بعد عام ١٦٥م قام بتربيته مثقف بابلي كان في وطنه من الكَتَبة الملكيين وأُسر على ما يبدو في حروب الإمبراطور ترايان ضد الفرثيين في بلاد الرافدين عام ١١٦-١١٧م، وتلقى عنه لغة بابل وثقافتها وحكاياتها. كانت لغته الأم الآرامية من دون شك، لكنه تعلم اللغة الإغريقية وأجادها

حتى صار أستاذاً في البلاغة، ويبدو أنه عاش قسطا من حياته يعمل كاتباً في بلاط الملك سوأيموس الذي نصبه الرومان على عرش أرمنيا عام ١٦٤م.

الفيلسوف فرفوريوس الصوري

وُلِد في صور سنة ٢٣٣م وتتلمذ فيها على المعلم الكنسي الكبير أوريجين، وقد ذهب إلى روما سنة ٢٦٤ والتحق فيها بمدرسة الأفلاطونية الحديثة التابعة لأفلاطين، وبلغ الذروة في دعوته إلى هذه الفلسفة.

ويقال إن اسم فرفوريوس أُطلِق عليه في الإسكندرية عندما كان يتتلمذ على أمونيوس الذي رغب في أن يعطيه اسماً إغريقياً بدلاً من اسمه الصوري ملكوس (الملكي) فلم يجد أفضل من كلمة فرفوريوس (الأرجواني) تؤدي المعنى ذاته.

وقد ألف فرفوريوس كتاباً عن حياة فيثاغور حاول البرهان فيه على قيامه بمعجزات وعجائب كثيرة، وأنه منح الخلص من أتباعه هذه المقدرة، كما أنه هاجم التعاليم المسيحية في واحد وعشرين كتابا، رد عليها متوديوس رئيس أساقفة صور، وقد أحرقت هذه الكتب علناً سنة ٤٣٥ بأمر تيودوسيوس الثاني، ولم يصل إلينا منها سوى بقايا مبعثرة في مؤلفات كثيرة.

والأخلاق التي كان يعلمها ويدعو إليها، نشرها في كتابه، داعياً فيها إلى الامتناع عن تتبع اللذات وتناول الأطعمة الحيوانية، وله

بحث في هوميروس في اثنين وثلاثين كتاباً ، ولكن أهم ماشهر فرفوريوس وكان له تأثير كبير في تاريخ الفلسفة هو كتاب إيساغوجيا أو المدخل إلى المنطق. ولو لم يجمع فرفوريوس مؤلفات أفلوطين ويصنفها ويرتبها في " تاسوعته " لظل أفلوطين اسماً مجهولاً.

مؤلفاته

من أهم كتاباته «حياة أفلوطين» إضافة إلى تصانيف أخرى كثيرة تنم عن شخصية فكرية فذة، وخلقية قوية جداً حتى سماه القديس أوغسطين «فقيه الفلاسفة». وقد تولى فورفوريوس شرح كتب التاسوعات لأفلوطين بعد موته، وكذلك جمعها ونشرها في مصنف واحد، وزعها على ستة أقسام في كل قسم تسع رسائل، فسميت «التاسوعات»، وعكست بأمانة تعليمه الشفهي، وهي سلسلة محاضرات توضح موضوعات أساسية في الفلسفة والنفس، مثل كيفية نزول النفس إلى الجسم واتحادها به، ومشكلة الذاكرة في النفوس المختلفة، بدءاً من النفس البشرية وانتهاءً بنفس العالم، والواحد مبدأ الوجود.

عرف أفلوطين أن تلميذه الوفي يعاني من حالة من السويداء والاكتئاب إلى حد الرغبة في الانتحار من دون أن يعرف السبب، لهذا كان يحثه على الارتحال دوماً، إلى أن صدع فورفوريوس بأمر نصيحة المعلم وركب البحر إلى صقلية، منفاه الطوعي الأخير، بعد

أن أخذ من المعلم وعداً بأن يرسل إليه المخطوطات التي ستكون أساس التاسوعات. وقد أسف فورفوريوس لأنه لم يحضر احتضار أفلوطين، ولم يسمع كلماته الأخيرة.

معلومات عن السيرة الذاتية

لم يكن فورفوريوس محض فيلسوف أفلوطيني، وإنما كان صاحب فكر عظيم الحيوية وذهن منفتح غاية الانفتاح، وكان فضلاً عن الفلسفة يهتم بالنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والفلك والطب، وقد عرف من تصانيفه ما يزيد على سبعة وسبعين كتاباً.

ويعد شرحه للتاسوعات أول خطوة على طريق المعرفة، وخلاصة منهجية لأفكار المدرسة. وقد حقق كتابه «إيساگوجي»، وهو مدخل إلى مقولات أرسطو، شهرة واسعة، إذ قدم فيه أساس المساجلة الكبرى في العصر الوسيط حول القيمة المعرفية للكليات، وشرح فيه خمسة تصورات هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض، التي سُمّيت فيما بعد بالمحمولات. وتمكن فورفوريوس أيضاً من كتابة تاريخ الفلسفة في أربعة أجزاء، حول أفلاطون والأفلاطونية، وحياة فيثاغورث وموضوعات أخرى أشاد بها مفكرون من نمط أبولونيوس الطياني و يامبليخوس الخلقيسي ممن يشعرون أنهم أكثر انجذاباً إلى التيوصوفية أكثر من انجذابهم إلى أفلاطون، وعن المعرفة التي يحصلها من فلسفة العرافات التي يقعّد فيها فورفوريوس ديانة بلا عقائد، كما قيل عنها.

وكان تعاطفه مع الشرق واضحاً في رسالته «في التماثيل»، تلك التي يدافع بها عن العبادة الوثنية، ويقترح تصوراً للآلهة وثيق الصلة بالرواقية، أما في كتابه «المباحث الهوميرية»، وهو من مؤلفات الشباب، فيتراكب فيه عنصران جديدان، هما المجازية التي يطبقها فيلون الإسكندري على التوراة، وثانياً فكرة التوفيق، كما كتب فورفوريوس رسالة وجهها إلى مارسيلا الأرملة الحكيمة التي كانت أمّاً لستة أبناء عندما تزوجها، وهذه الرسالة كانت وصية روحية إنسانية للغاية، تتضمن منهاجاً للحياة الخلقية والدينية. ويعد فورفوريوس أول الأفلاطونيين المحدثين هجوماً على المسيحية، فقد نُسب إليه أنه حث ديوقليسيان على اضطهاد النصارى في كتابه ضد المسيحيين الذي كان مرجعاً في كشف التعارض الزمني وحقيقة مؤلفي بعض أجزاء الأناجيل.

مركلينوس (أميانوس۔)
(نحو ٣٣٠۔نحو ٣٩٥م)

أميانوس مركلينوس قائد عسكري وسياسي ومؤرخ بارز من القرن الرابع الميلادي، يعده كثير من المؤرخين المعاصرين آخر المؤرخين الرومان العظماء. ولد لعائلة يونانية ثرية في مدينة أنطاكية، شمال غربي سورية، انتسب في فترة باكرة من حياته إلى الجيش الروماني، وشارك في عدد من المهام العسكرية ضد الفرس الساسانيين[ر] [مما أهله لمصادقة عدد من المسؤولين البيزنطيين،

وكذلك الكتابة عن تاريخ الفترة من ٩٦- ٣٧٨م وهي الفترة التي عدها مؤرخو العصر تتمة لتاريخ المؤرخ الشهير تاكيتوس(ر)Tacitus (نحو ٥٥ - ١٢٠م). وبالرغم من أنه لم يُعثر على الأجزاء الثلاثة عشرة الأولى من هذا المؤلّف التاريخي «كتاب تاريخ الأحداث»، فإن الأجزاء التي عثر عليها من الرابع عشر إلى الواحد والثلاثين والتي تغطي الفترة من ٣٥٣- ٣٧٨م تعد أهم روايات الفترة، وتكاد تكون الوحيدة عن الأحداث السياسية والعسكرية لهذه المرحلة من تاريخ المنطقة، وكذلك عن تاريخ الإمبراطور يوليانوس (المرتد) وحروبه مع الفرس.

يذكر مركلينوس عن نفسه أنه عمل ضابطاً تحت قيادة القنصل أورسكينوس في الشرق، وأنه أدى دوراً بارزاً في الحرب ضد الفرس الساسانيين، كما أنه كسب ثقة القنصل لدرجة أن القنصل دعاه إلى مصاحبته في مهماته العسكرية في إيطاليا وبلاد الغال، ويذكر عن نشاطاته الشخصية أنه قام بزيارة إلى مصر وأخرى إلى إسبرطة(ر) وانتهى به الأمر سنة ٣٩٠م في روما حيث قرر الإقامة الدائمة والتفرغ لكتابة تاريخه الذي استغرق عدة سنوات.

يصف المؤرخون المعاصرون أميانوس مركلينوس بصفات المؤرخين العظماء، ويلاحظ من تتبع كتاباته أنه كان يكتب تاريخ الحدث من خلال دراسته الشخصية الرئيسة في حصول الحدث، ويذكر المؤرخ الشهير إدوارد غيبن(ر)عن مركلينوس أنه لم يكتب حدثاً تاريخياً

واحداً في حياته مستهلاً إياه بأحكام مسبقة أو متأثراً بعاطفة أو متحيزاً وهي صفات لازمت معظم أعمال معاصريه من مؤرخي روما والمناطق التي خضعت لها. ومع أنه كان وثنياً كانت لديه مساحة من التسامح الديني جعلته منصفاً في حديثه عن المسيحية والمسيحيين الأوائل. وقد ساعده تمكنه من اللغة اللاتينية على قراءة عدد كبير من أعمال المؤرخين والأدباء الرومان وبالتالي الكتابة بلغتهم والإفادة من استعاراتهم وزخرفهم في صياغة لغته في بناء الأحداث التاريخية وبناء جملة حيوية ومميزة وفخمة.

هيباشيا (٣٧٠-٤١٥)

ولدت وقتلت فى الإسكندرية وكانت عالمة فلسفة من المدرسة الأفلاطونية الجديدة وكانت أول سيدة بهذا المقام تعمل فى الرياضيات وكان أستاذها فى الرياضيات والدها ثيون.

حاضرت هيباشيا في الرياضيات والفلسفة، ودرست فلسفة أفلوطين إلى جانب فلسفة لامبليكوس مؤسس الفرع السورى لمدرسة الأفلاطونية الجديدة. وكانت هيباشيا بهذا تعتبر رمزا لالتقاء العلم والفلسفة وهو وضع كان يعتبر فى هذا الوقت مؤيدا للوثنية.

أصبحت رئيسة المدرسة الافلاطونية الجديدة فى الإسكندرية حوالى ٤٠٠ م وجذب جمالها وذكاؤها عدداً كبيراً من المريدين وكان من أهمهم سينيسيوس الذى صار بعد ذلك أسقفا هاما.

في عام ٣٨٠ أصدر الإمبراطور الروماني " ثيودوسيوس " قرارات بمحاربة الوثنية والأريانية وأصدر عام ٣٩١ استجابة لـ "ثيوفيليوس" اسقف الإسكندرية، تصريحا بتحطيم المؤسسات الدينية المصرية، استجاب المسيحيون لهذه الرغبة بتحطيم معبد السرابيوم ومكتبة الإسكندرية وبعد أن اعتلى كيرلس الأول كرسي البطريركية عام ٤١٢م تجددت الفوضى، وتم قتل هيباشيا ٤١٥ .

***

الهوامش:

١- " ه.ج.ويلز : معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثانى، الكتاب الخامس، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣ ١٩٦٩" .

٢- ويلز : معالم تاريخ الإنسانية، ص ٤٥٥ .

٣- لطفي عبد الوهاب : دراسات فى العصر الهللينستى، دار النهضة العربية، بيروت ص ١٨٩ .

الفصل الثالث:

مكتبة الإسكندرية القديمة
وتأسيس العلم الحديث

يؤكد دكتور سمير حنا صادق في كتابه " نشأة العلم فى مكتبة الإسكندرية القديمة " أن بذور النظرة العلمية الصحيحة للعلم قد بدأت فى أيونيا بأمثال طاليس (٦٤٠-٥٤٦ق.م) وأناكسمندر (٦١١- ٥٤٧ ق.م) أن هذه الجذور قد أزهقت إلى حد ما على أيدى أتباع فيثاغورس الذى أدخل الآلهة إليها. ولكن هذه الجذوة قد عادت إلى الاشتعال وأضاءت العالم فى مكتبة الإسكندرية فى الفترة بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع بعد الميلاد. وبقتل هيباشيا انطفأت جذوة العلم إلى أن اشتعلت ثانية على أيدى العلماء والمترجمين المسلمين في ما بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر أمثال الكندى والخوارزمى والرازى والفارابى والبيرونى.. .إلخ هؤلاء العلماء.

الفلك

كان اول من وضع مسمارا فى نعش أفكار أرسطو عن الكون هو اريستاركوس. فقد أثبت أن الشمس هى مركز الكون وأن بقية الكواكب بما فيها الأرض تدور حولها، وكانت هذه الفكرة صادمة للفكر الدينى فى هذا الوقت مما أدى إلى رفضها ومحاسبته والرجوع إلى فكرة أن الأرض مركز الكون لأنها مقر للآلهة حتى جاء كوبرنيكوس وأعاد هذه الفكرة إلى الوجود " إن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس".

ورغم أن هيباركوس قدكان من أهم المهاجمين لنظرية مركزية الشمس والمؤيدين لمركزية الأرض، إلا أنه أضاف الكثير إلى العلم. فقد زعم هيباركوس أن أقرب مدار حول الأرض (مركز الكون) هو مدار القمر يليه عطارد، تليه الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، فالمشترى، فزحل. وقد صنع خريطة للنجوم تشمل ٨٥٠ نجما قسم بريقها إلى ست درجات مازالت تستعمل حتى الآن. وكان من أعماله العبقرية استعماله المقارنة بين درجة خسوف القمر فى أسوان بمقارنتها بمثيلتها فى الإسكندرية لحساب المسافة بين الشمس والقمر.

كذلك آثار بطليموس فى هذا المجال خاصة كتابه " الماجستى ".

التطبيقات التكنولوجية للعلم

فقد قدمت المكتبة العديد من الاختراعات التكنولوجية منها بريمة أرشميدس " الطنبور" الذى مازال يستعمل حتى الآن.

كما قدم هيرون آلات إطفاء الحرائق وآلات تستعمل النقود فى تحريكها ، بل وأهم اختراعاته هى آلات تعمل بالبخار ، وقدمت هيباشيا الاسترلاب وجهازا مدرجا من النحاس لقياس الكثافة النوعية .

فى الرياضيات والهندسة

وضع اقليدس فى كتابه عن " الأوليات " أسس علم الرياضة والهندسة والمنطق الرياضى ، وقد استمر تدريس هذه الأسس التى وضعها اقليدس حتى القرن العشرين كما أضاف أرشميدس الكثير إلى التكامل الرياضى ووضع أسس التفاضل كما وضع قانون العلاقة بين الكرة والأسطوانة المحيطة بها وقاعدة قياس مساحة سطح الكرة . كما وضع أرشميدس قانون الأجسام الطافية والغارقة والذى يقول بأن الفرق بين وزن جسم فى الماء ووزنه فى الهواء يعادل وزن الماء المزاح ، ولما كان وزن الماء يعادل حجمه فإنه بذلك قد استطاع أن يحدد حجم الأجسام بوزنها فى الماء والهواء ، وبهذا أمكن تحديد الكثافة النوعية للأشياء وأولها تاج الملك هيرون الذى كلفه بتحديد نسبة الفضة فيه ، كذلك درس أرشميدس الروافع ووضع قوانينها .

كذلك وضع ايراتوسثينوس ما يطلق عليه "غربال ايراتوسثينوس" والذى مازال يستخدم حتى الآن لتحديد الأرقام الأولية . وكذلك استطاع ابولونيوس وضع أسس دراسة قطاعات المخروطات وأدخل تعبيرات هامة مازالت تستخدم حتى الآن ومنها "القطع المكافئ" و "القطع الناقص" و "القطع الزائد" .

وقد قدمت هذه الدراسات خدمات جليلة للعلوم المختلفة لعل اهمها تمكين كبلر من تحديد مسارات الكواكب والتخلص من آثار أفكار أرسطو وأفلاطون عن المسارات الدائرية ووضع قوانين كبلر الثلاثة لهذه الحركة وهى القواعد التى أرسلت على أساسها رحلات الفضاء الحديثة.

فى الجغرافيا

لم يكتف اراتوسثينوس بإثبات كروية الأرض، بل قاس محيطها بفكرة عبقرية لم يستعمل فيها سوى عصا ومقياس للزوايا ومقياس للمسافة. وكانت نسبة الخطأ في قياساته لا تتعدى ١٪. وبهذه الاكتشافات تغيرت خرائط الأرض وأصبحت ترسم على شكل كرة. وافترض ايراتوسثينوس إمكانية الوصول إلى الهند من أيبريا ونحن نعلم الآن صحة افتراضه.

كما رسم هيباركوس خطوط الطول ودوائر العرض على الكرة الأرضية وقسمها إلى ٣٦٠ درجة مازالت معروفة بها حتى الآن كما وضع أيضا أسس علم حساب المثلثات الكروى. وأضاف بطليموس العديد من التفاصيل إلى جغرافية الأرض وكانت هذه المعلومات اساس رحلات البحارة العظام أمثال كولومبوس وماجلان وكان الفضل في ذلك لوجود " الماجستى " الذى ترجمه العرب.

فى الطب

قام هيروفيليس بوضع القواعد العلمية للعلوم الطبية وأثبت أن المخ وليس الكبد أو القلب هو مقر العواطف والمشاعر ووصف الاثنى عشر وأعطاها اسمها. ووصف البروستاتا كما وصف أجزاء من المخ وأعطاها أسماءها التى مازالت معروفة باسمه حتى الآن علاوة على ذلك فقد وضع هيروفيليس أسس علم أمراض النساء ووصف الدورة الشهرية بأنها ليست مرضا بل حالة طبيعية، وقال بأن المرأة ليست مخلوقا ناقصا بل هى مشابهة تماما للرجل. ووصف طبيعة النبض وقاس سرعته باستعمال ساعة مائية. كما جمع كتب أبوقراط وكتب ثمانية كتب مبنية على دراسته الشخصية أيام حكم بطليموس الأول وبطليموس الثانى.

كما يعتبره المؤرخون مؤسس علم التشريح. وجاء بعده ارازستراتوس واصفا الجهاز العصبى وقسمه إلى أعصاب مختصة بالحركة وأخرى مختصة بالإحساس وكان يعتقد أن الأعصاب تحتوى فى داخلها على سائل يقوم بالوظائف المطلوبة.

كما وصف لسان المزمار وصمامات القلب وصفا دقيقا وأعطى أحدها الاسم المعروف بها حتى الآن .

وكان من بين من أسهموا فى تأسيس علم الطب فى المكتبة حتى يومنا هذا جالينوس بإسهامه فى علم التشريح ووصفه لأعصاب الجمجمة، كذلك أثبت بدراسته أن أحد الأعصاب هو المسئول عن الأصوات كما أثبت أن الشرايين تحتوى على دم وكان المعروف خلال

الأربعمائة سنة السابقة أنها تحتوى على هواء . كما وضع جالينوس أسس علم وظائف الأعضاء التجريبى وسيطرت كتاباته على العلوم الطبية على مدى ١٤٠٠ عام.

التاريخ

كان أول كتاب تاريخ يخلو من الخرافات كتاب ايراتوسثينوس وذلك عن تاريخ اليونان منذ حرب طروادة حتى الإسكندر الأكبر . وقام بابوس حوالى عام ٣٢٠ ق.م بكتابة كتابه الشهير " المؤتمر " مؤرخا للمكتبة وسجل فيه كتب اقليدس وابولونيوس وهيروفيليس وايراتوسثينوس وغيرهم.

اللغويات

كان ديونيسيوس أول من وضع قواعد علم اللغويات بوصفه لتكوين الجمل ودراسته عن الصوتيات، تلك الدراسات التى أخذ بها الرومان واستعملت بعد ذلك فى دراسة اللهجات الأوروبية.

الإسكندرية بين المزج الثقافى واستقلال العلوم

لاحطنا فيما سبق ان الإسكندرية منذ نشأتها وتحديدا بناء "المتحف والمكتبة " وهى أصبحت من اهم معاقل الحضارة فى العالم القديم، تشترك فى ذلك مع موانئ أسيا الصغرى، فقد اصبحت الإسكندرية مركزا للتحول الثقافى والمعنوى والروحى فى العالم

كله[١] وبصفة خاصة فى العصر الرومانى الهلينستى. وإذا كان البطالمة اهتموا بأن تكون الإسكندرية مركزا ثقافيا عالميا ومصدرا من مصادر الإشعاع الثقافى والعلمى فإنه قد تحقق لهم ذلك بالفعل، فضلا عن تحقيق البطالمة لدور البحث العلمى وتوفير وسائله المختلفة بإنشاء المتحف والمكتبة حيث جمعوا بالمكتبة كما سبق أن ذكرنا المخطوطات وأوراق العلوم المختلفة بكميات هائلة، وإطلاقهم مسميات علمية على هذه الدور المبانى التى تم انشاؤها لهذا الغرض.

إنهم فتحوا الإسكندرية ومدارسها وأروقتها لاجتذاب المفكرين والفلاسفة والعلماء من كل أنحاء الدنيا وجعلوا من الإسكندرية وريثة العلوم والفنون وعناصر الفلسفة والثقافة فى العالم الإغريقى، لذلك نجد تبادل الثقافات والعلوم والفنون المختلفة وتحاورها وامتزاجها فى أروقة الإسكندرية بالإضافة إلى عملية التوفيق بين الآراء والمذاهب الدينية من يهودية ومسيحية وهرمسية مصرية وآسيوية وغيرها من المذاهب والتيارات الفلسفية والدينية على اختلاف أشكالها وأنواعها ونوازعها.

ظهرت الحركة التوفيقية فى أروقة الإسكندرية كتيارات فكرية وثقافية من ناحيتين رئيسيتين.

أولهما :

أنه بعد أن استغرقت النظريات الفلسفية والأفكار الثقافية والأدبية اليونانية ووضع مبادئ النظر الفلسفى وتحددت معالمه فى دراسة وتفسير الوجود، الطبيعة والميتافيزيقا والأخلاق، بالإضافة

إلى مجمل المبادئ السياسية والاجتماعية على يد فلاسفة اليونان الأوائل من الطبيعيين والسقراطيين، وأفلاطون وأرسطو - المجموعة الرواقية -والأبيقورية ومن سبقهم من الفيثاغوريين، ونقل هذا التراث الفلسفي برمته لدراسته في أروقة مدرسة الإسكندرية.

فقد ظهر مجموعة من المفكرين والفلاسفة الذين عكفوا على شرح وتحليل هذه النظريات الفلسفية والمقارنة بينها فاحتاج هؤلاء الشراح والمعلقون والدارسون لأصول المذاهب الفلسفية اليونانية إلى عملية التوفيق بين النظريات والمذاهب الفلسفية للتقريب بينها. وتوقفت الحركة الثقافية في مدرسة الإسكندرية في العصر الهلينستي عند هذه النقطة بالذات، وانصب ذلك فيما عرف بالأفلاطونية الجديدة والفيثاغورية الجديدة، بالإضافة إلى المشائية الأرسطية، وغنوصيات الرواقية والهرمسية، ولعبت شخصيات فلسفية كبيرة دورا هائلا في هذا المجال، مثل أمونيوس وساكاس وتلميذه افلوطين وفورفوريوس الصورى ويامبليخوس وايروفلس ويحيى النحوى وغيرهم. وسوف يأتي الحديث عن دور كل منهم في مكانه. وقد انحسر ذلك في ثلاث مدارس كبيرة أهمها مدرسة الإسكندرية(٢) إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بإضافات إبداعية وفلسفية جديدة تضاف إلى نظريات الفلاسفة السابقين.

أما الناحية الثانية :

فإنه من خلال العصر الهلينستي أو الروماني الإسكندراني ازداد التحام الثقافتين الشرقية واليونانية وتداخلت مكونات كل منهما

مع الأخرى، فأصبح الشرق هيلينيا والعالم اليهيليني شرقيا، ولذلك نلاحظ استبدال العقل الفلسفي، بإلهامات الوحى وأحوال النفس، ومراسم الدين وطقوسه، والاتجاه إلى المطلق الغيبى الذى يدرك بالشعور والوجدان، كذلك ذابت الفلسفة الهيلينية اليونانية فى محيط الدين الواسع الضخم فى مجال الميتافيزيقا، والمعرفة والأخلاق والسياسة وعلى ذلك يشهد فى هذا الوسط اتجاه بعض الفلاسفة للجمع بين الدين والفلسفة كما عبر عنه الفيلسوف الرواقى " يوزيدوتيوس" فى نطاق الرواقية[٣] وبناء على ذلك فإن عملية التوفيق فى الإسكندرية، ظهرت بصورة واضحة فى الأوساط الدينية والغنوصية وبصفة خاصة عند فيلون السكندرى وتطور فيما بعد عند لاهوتى وفلاسفة المسيحية.

لقد حدث بعد أن انتشرت الثقافة اليونانية فى مصر عن طريق مكتبة الإسكندرية أن أقدم فيلون على تفسير التوراة مستخدما أساليب وأفكار الفلسفة اليونانية، وكذلك ظن بعض المؤرخين الفلاسفة أن الفلسفة اليونانية مستمدة من تعاليم التوراة، أو من الدين المصرى القديم، إذ نجد "تومنيوس" الفيثاغورى يشير إلى أن أفلاطون ليس سوى موسى ينطق باليونانية.

وجدت فى هذه الآونة نوع من الانفصال التقليدى بين عناصر التفكير الفلسفى الخالص، وما يتبعه من الاتجاهات العلمية، وبين الاتجاهات الثقافية القائمة على نزعات التوفيق بين النظريات والآراء المختلفة.

ومن هنا بدأت العقول المفكرة تتجه إلى اجتذاب النظريات العلمية ووضع اسس البحث العلمى ومناهجه باستقلالية عن تيارات التوفيق التى لا تعبر عن فكر فلسفى نقى خالص من الخلط والتشويه.

ومما تقدم نستنتج أن الإسكندرية فى عصر البطالمة، كانت ملجأ للعلم والعلماء، كما كانت مركزا للتجارة العالمية، فقد أنشأ البطالمة فيها المتحف والمكتبة ليكون بهما جامعة متكاملة ليس لها مثيل فى العالم القديم، وفد إليها العلماء من كل جنس كما سبق أن أوضح الكاتب فى الأوراق السابقة . وأن مدرسة الإسكندرية قد التزمت جانب دراسة العلوم بصفة عامة والزياضيات والطب والفلك والهندسة وغيرها بصفة خاصة، مع الاهتمام الشديد بالمنطق الأرسطى كأداة للاستدلال العقلى فى مجال العلوم، بالإضافة إلى الشروح والتعليقات على مؤلفات أرسطو وأفلاطون[٤] .

الروافد الفلسفية والعلمية للتراث الثقافى فى مدرسة الإسكندرية

إن حركة التاريخ وما تشمله من تيارات ثقافية وفلسفية ودينية لا تعرف الحدود الجغرافية أو القومية أو الدينية، إذ إن الحلقات الحضارية الإنسانية متصل بعضها ببعض منذ فجر التاريخ وحتى الآن. فقد أخذ اليونان عن المصريين على سبيل المثال مبادئ الطب والتشريح، وهى مبادئ لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحسب، وإنما دونها المصريون فى شكل قواعد علمية كما

يظهر ذلك بوضوح في عدد من أوراق البردى التي ترجع إلى العصر الفرعوني، كذلك أخذ اليونانيون عن المصريين المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية نسخة من الاتجاه المصرى، "الوقفة المتصلبة، والنظرة المتجهة للأمام، والقدم اليسرى المتقدمة قليلا عن القدم اليمنى " كما أخذ الفنانون اليونانيون منذ القرن السادس ق. م عن معابد مصر عمارة الأبهاء والأعمدة كما يتضح ذلك من مقارنة معبد الكرنك، وبقايا معبد سقارة في مصر بمعبد "البارثينون " في أثينا. كذلك أخذ اليونانيون عن وادى الرافدين مبادئ الرياضيات والتنظير العلمي لها ويتضح هذا في نظريات فيثاغورث الرياضية كذلك لا ننسى فضل اقليدس ومدرسة الإسكندرية كما سبق أن أشرنا على علم الهندسة وحساب المثلثات، كما كان للتأثير السورى والحروف الهجائية الفينيقية وحركات تشكيلها أثر على الحركات الصوتية اليونانية، وقد كان للاكتشافات الأثرية للطراز المعمارى لمجموعة التماثيل والمدن التي تقع شمال غربى الجزيرة العربية والأردن مثل مدينة العلا ومدائن صالح ومجموعة النقوش على العملات النقدية ببلاد اليمن وغيرها أثر كبير في توضيح ما كان للفن اليونانى من تأثير على الشكل الثقافي والحضارى في هذه البلاد مما يوضح وبجلاء على التواصل الحضارى الثقافي بين الأمم والشعوب اليونانية والشرقية(٥).

واكتملت الدورة الحضارية بعد فتح الإسكندر لبلاد الشرق ومن ثم بناء الإسكندرية ومعهدها ومكتبتها فلا ينكر أحد ما كان للتأثير

الحضارى والثقافي اليونانى على الشرق الذى تمثل فى جوانب العلوم والفنون والإدارة، أو الفلسفة مما شكل حوارا ثقافيا وحضاريا انصهر فى بوتقة الفكر الفلسفى والثقافى والعلمى فى مدرسة الإسكندرية القديمة بصفة خاصة ومكتبتها القديمة، والتى كانت تعتبر حتى الفتح العربى لمصر معبرا حضاريا وثقافيا وفلسفيا لالتقاء حضارة اليونان وثقافتهم وفلسفاتهم مع ثقافات وديانات الشرق القديمة[٦] بالإضافة إلى كون الإسكندرية مصدر إشعاع ثقافى بارز في منطقة الشرق الأدنى، فى كل فروع العلم والفكر والفن والأدب والفلسفة لقرون طويلة فلقد استمرت مكتبة الإسكندرية ومدرستها فى نشر الثقافة فى المنطقة واستمرت فى تأدية هذا الدور الذى شكل حوارا حضاريا ثقافيا ودينيا حتى بداية العصر الإسلامى، حين بلغت الترجمة من اليونانية إلى العربية فى عصر الخليفة المأمون ذروتها، وانتقل هذا الإشعاع إلى بغداد لفترة طويلة بعد مدرسة الإسكندرية، ولم تكن الثقافة فى الإسكندرية وليدة عصرها فحسب بل حصيلة تراكمات ثقافية وفلسفية متواصلة ومنحدرة من أصولها الأولية فى العصر اليونانى الأثينى، وبصفة خاصة بعد فتح الإسكندر لبلاد الشرق وتأسيس الإسكندرية التى ورثت فيما بعد ثقافة مصر وفلسطين واليونان[٧].

فكانت الإسكندرية بمتاحفها ومكتبتها ومجامعها العلمية منفتحة على كل الجهات والثقافات المختلفة واحتلت الإسكندرية مكانة أثينا، وأصبحت مزارا عالميا وحضاريا لكل الجهات والأجناس

من مختلف الديانات، وفيها التقت العناصر العبرانية اليهودية مع العناصر اليونانية والمصرية والآسيوية الفينيقية والسورية والأفريقية الإثيوبية، لقدكانت الخطة التى انتهجها البطالمة فى سبيل تحقيق هذه الغاية، إنشاء دار خاصة للدراسة والبحث تلك الدار هى المتحف والمكتبة التى نحن بصدد الحديث عنهما فى هذا الكتاب.

وإذا كانت التيارات الفكرية في القرن الأول والثاني الميلادى قد امتزجت وتعارفت وتحاورت - وقد حدث هذا فى ظل مدرسة الإسكندرية - بأنه عصر التداخل والتنافذ والحوار بين حضارة الإغريق وحضارة الشرق وقد احتل فيه يهود الإسكندرية وعلى رأسهم "فيلون" مكانا مرموقا في بادئ الأمر، ثم كان دور المسيحية، وفى القرن الثاني ازدهر أدب وحوار العقيدة المسيحية من أمثال بوستينوس وثاسياندس وارنايوس[٨].

وإذا كان من أعظم مظاهر النشاط الفكرى والعلمى والثقافى أن طغت فى الإسكندرية شهرة المتحف والمكتبة اللذين أسستهما الحكومة البطلمية على صيت معهد أرسطو فى أثينا باعتباره المركز الهيليني العالمى للدراسات اللغوية والعلمية[٩] فإن ما قام به الإمبراطور " هادريان " كان شديد الحماس للحضارة اليونانية حيث زار " الميسون " والمكتبة بالإسكندرية، وشهد ندوات العلماء والفلاسفة هناك، بل واشترك فى مناقشاتهم وبمناسبة هذه الزيارة الإمبراطورية للإسكندرية ومتاحفها ومكتباتها، ازداد عدد العلماء والفلاسفة والأدباء والمثقفين، من جميع الأجناس والمذاهب، وقام

بتعيين كثير منهم ومنهم من كان من الفلاسفة المتجولين الذين لا يقيمون في الإسكندرية، فكانوا أشبه بأعضاء مراسلين للمسيون(١٠).

وإذا اتجهنا للكشف عن روافد الفكر العلمي والفلسفي في مدرسة الإسكندرية وخصائصه الفكرية، فخير لنا أن نشير إلى ما أسهمت به العقول المصرية في مجال الثقافة والعلم فى العصر الرومانى، فمن مصر نبغ كثير من المفكرين والعلماء والفلاسفة منهم على سبيل المثال "اثينايوس" و "نقراطيس" و "أفلوطين" وربما كان للمصريين علماء وفلاسفة وأصحاب ديانات ومشاركة حضارية وثقافية فى العصر الرومانى أكثر من العصر البطلمى والذى ظهرت خلاله حركات الأدب والفكر الهيلينى لتركيز أصول الثقافات الهيلينية اليونانية بعد فتح الإسكندر الأكبر لمصر وبلاد الشرق.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد فى مجال العلم حافظت الإسكندرية على حمل مشعل التقدم، وأشهر علماء هذه الفترة من غير منازع بطليموس الجغرافي والذى ذاع صيته أو شهرته بين علماء العرب فيما بعد الفتح العربى الإسلامى لمصر. وهو من ابناء مصر فى القرن الثانى الميلادى فيما ذهب بعض المؤرخين المحدثين (١١) ويعتبر قمة فى علم الجغرافيا وكذلك الرياضيات وعلماء الفلك والطبيعة وامتازت بحوثه ودراساته عن سابقيه من اليونان أن دراسته فى الجغرافيا كانت على أسس رياضية وفلكية وعمل خريطة للعالم وضح عليها الأماكن والأقاليم بنسب وأبعاد صحيحة، وبذلك

كانت أبحاثه ممهدة لعلوم الفلك والجغرافيا الحديثة والثابت أن الدراسات الفلكية قد استكملت فى مدرسة الإسكندرية(١٢) .

أما فى مجال الدراسات والبحوث الفلسفية، فمما لاشك فيه أن من أشهر ما تتميز به الإسكندرية فى العصر الرومانى هو الحركة الفلسفية وما شهدته من حوار ثقافى فلسفى بين المذاهب الدينية وبين روافد التفكير الفلسفى الهيلينى اليونانى من رواقية وأبيقورية وفيثاغورية ومشائية وغيرها، فمثل هذه الحركات الفكرية والفلسفية لم تكن لتظهر بشكل واضح فى العصور الأولى من عهد المكتبة إبان الحكم البطلمى لمصر خوفا من انتشارها بل اشتد الجدل والنقاش وظهر الحوار الجاد بين التيارات الفكرية والثقافية فى العصر الرومانى، وإن لم يكن أباطرة الرومان أهل جدل وفلسفة بطبيعتهم لكنهم لم يحرموا الاشتغال بها، ولم يضيقوا بها ذرعا، بل تعرف بعضهم على روافدها ومنابعها ومذاهبها، وفى الإسكندرية وجدت البيئة الصالحة لبث الأفكار والمذاهب الفلسفية والمزج بينها وبين الأفكار والمذاهب الدينية منذ القرن الأول الميلادى. واستمر هذا الجدل والحوار بين الجانبين الفلسفى والدينى فى القرون الثلاثة الأولى للميلاد.

ولعل أهم الديانات التى حاورت وعاصرت الحركات الفلسفية وتياراتها اليهودية والمسيحية، لذا يعتبر فيلون اليهودى السكندرى الذى عاش فى منتصف القرن الأول ق.م. والنصف الأول من القرن الأول الميلادى أول فيلسوف لاهوتى دينى فى مدرسة الإسكندرية:

إذ قام بمحاولة تسويغ دينه للعقل الجديد مستعينا بالفلسفة اليونانية على شرح الموسوية ، فهو يبدأ بموقف دينى ثم يتطرق منه إلى الدليل الفلسفى على صدق الدعوة الدينية ، فقد كتب فيلون السكندرى شرحا ضخما على التوراة قاصدا أن يبين لليونان أن الكتاب المقدس يحتوى على فلسفة أقدم من فلسفتهم ، وأدمج فى شرحه آراء فلسفية مختلفة المصادر من الأفلاطونية والرواقية والفيثاغورية والأرسطية(١٣).

أما الفيلسوف الكبير الذى التحق بمدرسة الإسكندرية وتعلم الأصول الأولى للفلسفة الأفلاطونية بها هو " افلوطين " وهو مصرى الجنسية من أسيوط بصعيد مصر ، فى القرن الثالث الميلادى وظهر فى وقت اشتد فيه الجدل والحوار بين الثقافات الوثنية متمثلة فى الروافد الفلسفية اليونانية وبين الدين المسيحى الجديد لذلك تصدى أفلوطين لحل مشكلة الدين عن طريق الفلسفة لذلك حاول الجمع بين الأفكار الفلسفية أو الأفلاطونية وبين الفكر الشرقى أو الدين متمثلا ذلك بالمسيحية التى اعتنقها وصار أحد أبنائها إذ نجده يعتمد على فلسفة أفلاطون والفيثاغورية الجديدة إلى جانب نظرية الفيض الإلهى الشرقى ، محاولا الاتجاه إلى الواحد الأول ، ملتمسا طريق الفيض الإلهى الإلهامى ومتشوقا إلى الوحدة الإلهية ، والاتحاد بالوحدة والانجذاب إليه ، وفى هذه الفترة لم يكن كل من كليمنت ، وأوريجين ، السكندريين ببعيدين عن معترك الحياة الفكرية والثقافية والجدل الدائم والمستمر بين التيارات الفلسفية والأفكار والمعتقدات

الدينية المختلفة وبصفة خاصة الدين المسيحي، والغنوصيات الهرمسية التي كانت في مدرسة الإسكندرية.

فقد حدثت محاورات وظهر جدل عقلي وديني بين هذه التيارات الفلسفية والغنوصية وبين المسيحية غير أن أهم الخصائص والمميزات التي تميزت بها مدرسة الإسكندرية في أفكارها وحوارها الفلسفي الفكري في مرحلتها. والتي تسمى في تاريخ الفكر السكندري "بمرحلة الهيلينستية السكندرية " المزج بين الفكر الثقافي والفلسفي اليوناني الهيليني وبين الروح الشرقية الدينية، مع الإذعان لعوامل البساطة والسمو الأخلاقي، وتمجد الروح الدينية والعقائدية، والتوفيق بين التيارات الثقافية الوافدة والمحلية لما فيه من آثار غنوصية ودينية، وتقابل الشرق الديني الغنوصي بالغرب الهيليني اليوناني في قاعات البحث والدراسة في معابد الإسكندرية ومتاحفها(١٤).

وإذا كان ضمن مميزات أو خصائص الحوار الفكري الثقافي عملية الخلط والمزج بين الافلاطونية والتراث الشرقي الديني فقد وجدت هذه التيارات الفلسفية في ظل مدرسة الإسكندرية قبولا وإقبالا من الكثيرين، وظهرت تأثيراتها في القول " بوحدة الوجود "(١٥) لدى مفكري وفلاسفة وصوفية من اليهود والمسيحيين والمسلمين على حد سواء.

ومما لا شك فيه أن مدرسة الإسكندرية عندما أصبحت هي وريثة الفكر الفلسفي والحوار الثقافي والجدل الديني بعد مدرسة أثينا اليونانية، اكتسبت طابعا متطورا يجعلها متميزة عن سابقتها وهي

الأفلاطونية المحدثة " الجديدة " والتى صبغت طريقة الجدل والحوار الفكرى الثقافى بالميل إلى البساطة فى الاتجاه الميتافيزيقى كما أن مبدأ الزهد فقد أهميته في الإسكندرية[١٦] واتجه التفكير الفلسفى والحوار الحضارى اتجاها عمليا أكثر منه نظريا ، بالإضافة إلى التزام الدقة والتحديد فى البحوث الرياضية والطبيعية ، مع إهمال فكرة تعدد الآلهة ، وذيوع الروح العلمية وحركاتها الدقيقة .

***

الهوامش:

١- د/ نجيب بلدى - تمهيد لتاريخ مكتبة الإسكندرية ص ٣٥
٢- من هذه المدارس : الصورية وكان زعيمها يامبليخوس - ومدرسة اثيناروس وزعماؤها ايروفليس وتامسطيوس
٣- د/ محمد على أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفى - ج ٢ " أرسطو والمدارس" ص ٣٥٣
٤- د/ محمد على أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفى ج ٢ " أرسطو والمدارس المتأخرة " ص٣١٣
٥- د/ لطفى عبد الوهاب - اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى ص٢٠-٤٠ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية
٦- ول ديورانت - قصة الحضارة -مجلد ١ الشرق الأدنى ج٢ ص٤٧
٧- نفس المصدر
٨- اميل برهيبه - تاريخ الفلسفة -ج٢ "الفلسفة الهلينستية والرومانية " ص١٩٧
٩- ارنولد توينبى - تاريخ الحضارة الهيلينية ص ٢٣٩
١٠- د/ مصطفى العيادى - مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ص ٢٦٩
١١- المصدر السابق ص ٢٧٢
١٢- د/ محمد على ابو ريان ص ٣٥
١٣- د/ ابراهيم مدكور - د/ يوسف كرم - دروس فى تاريخ الفلسفة ص ٤٤
١٤- د/ ذكى نجيب محمود - أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٣٨
١٥- د/ محمد الفيومى - التطور التاريخى لمعنى فلسفة ص ١١٠
١٦- د/ محمدالبهى - الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص١٩٣

الفصل الرابع:

حريق المكتبة

هناك قصص كثيرة عن حريق مكتبة الإسكندرية القديمة وتدور معظمها حول ثلاثة تواريخ هامة لحرق المكتبة أولها فى العام ٤٨ ق.م على يد يوليوس قيصر والتاريخ الثانى على أيدى البطاركة الرومان فى العام ٣٩٩ ميلادية والتاريخ الثالث فى فتح مصر فى القرن السابع الميلادى على يد عمرو بن العاص وسوف يحاول الكاتب فى هذا الفصل تفنيد تلك القصص والروايات حول حريق المكتبة .

أولا : حريق المكتبة على يد يوليوس قيصر ٤٨ق.م

هناك العديدمن المؤرخين يتهمون يوليوس قيصر بحريق مكتبة الإسكندرية القديمة عندما أمر جنوده بإحراق السفن الراسية على الميناء الشرقى وطالت هذه النيران المكتبة فأحرقت معظمها . إلا أن

هذه الرواية هناك كثير من المعلومات التى تنفيها وسوف نعرض لها.

أحد أهم أسانيد هذا الادعاء هو ما دونه يوليوس قيصر نفسه في كتابه " حرب الإسكندرية "من أن النيران التي أشعلها جنوده لإحراق الأسطول المصري الموجود في ميناء الإسكندرية قد امتدت لتلتهم مخزنا مليئا بأوراق البردي يقع قريبا من الميناء. ولكن من الدراسة الجغرافية لموقع مكتبة الإسكندرية في حي بروخيون بعيدا عن الميناء يتضح أن هذا المخزن يستحيل أن يكون المكتبة. كما أن شبهة حرق يوليوس قيصر لمكتبة الإسكندرية من السهل دحضها من خلال قراءة كتاب الجغرافيا للمؤرخ سترابو الذي زار الإسكندرية حوالي سنة ٢٥ ق.م. والذي يستمد مادته العلمية من المصادر التاريخية التي كانت موجودة في مكتبة الإسكندرية في ذلك الوقت. وبالإضافة لذلك فإن سيسرو أشهر مؤرخي الإمبراطورية الرومانية، والذي عُرف بعدائه الشديد ليوليوس قيصر، لم يذكر إطلاقا واقعة إحراق يوليوس قيصر لمكتبة الإسكندرية في كتابه الشهير "فيليبيس"مما يعد دليلا إضافيا على براءة يوليوس قيصر من تلك التهمة.

ورغم ذلك فإن بعض المؤرخين يتفقون على أن يوليوس قيصر هو بالفعل من قام بإحراق مكتبة الإسكندرية. وأحد هؤلاء المؤرخين هو بلوتارخ في كتابه " حياة قيصر"الذي كتبه في نهاية القرن الأول الميلادي والذي ذكر فيه أن مكتبة الإسكندرية قد احترقت بفعل

الحريق الذي بدأه يوليوس قيصر لتدمير الأسطول المصري المرابط في ميناء الإسكندرية. وفي القرن الثاني الميلادي، وفي كتابه Attic Nights، يذكر المؤرخ الروماني اولوس جليوس أن المكتبة الملكية السكندرية قد أُحرقت بطريق الخطأ عندما أشعل بعض الجنود الرومان التابعين ليوليوس قيصر بعض النيران. وفي القرن الرابع يتفق المؤرخان الوثني اميانوس مرسلينوس والمسيحي اوروسيوس على أن مكتبة الإسكندرية قد أُحرقت خطأً بسبب الحريق الذي بدأه يوليوس قيصر. ولكن في الغالب هنا أن هؤلاء المؤرخين قد خلطوا بين الكلمتيّن اليونانيتيّن bibliothekas بمعنى مجموعة من الكتب و bibliotheka بمعنى مكتبة، وعلى هذا فقد ظنوا أن ما كُتب سابقا عن حرق بعض الكتب القريبة من الميناء والموجودة في بعض المخازن هو حرق لمكتبة الإسكندرية الشهيرة.

وعلى هذا، وبالنظر لما كتبه المؤرخون الرومان السالف ذكرهم، فمن المرجح أن المكتبة الملكية السكندرية قد أُحرقت بعد زيارة سترابو للمدينة حوالي ٢٥ ق.م. ولكن قبل بداية القرن الثاني الميلادي، وإلا ما كان هؤلاء المؤرخون قد ذكروا حادثة حرقها ونسبهم إياها خطأً ليوليوس قيصر. والنتيجة هي أن المكتبة قد دُمرت في الغالب بفعل شخص آخر غير يوليوس قيصر ولكن الأجيال التالية للحادثة أعتادت الربط بين الحريق الذي وقع في الإسكندرية إبان وجود يوليوس قيصر فيها وبين إحراق المكتبة.

ولكن من المعروف أن مكتبة الإسكندرية الملكية، أو المتحف كما كان يُطلق عليها حيث كانت تضم أصول العديد من أمهات الكتب في العالم، لم تكن المكتبة الوحيدة الموجودة في مدينة الإسكندرية، بل كانت هناك مكتبتان أخريان على الأقل: مكتبة معبد السيرابيوم ومكتبة معبد السيزاريون. واستمرار الحياة الفكرية والعلمية في الإسكندرية بعد تدمير المكتبة الملكية، وازدهار المدينة كمركز العلوم والآداب في العالم ما بين القرن الأول الميلادي والقرن السادس الميلادي، قد اعتمدا على وجود هاتين المكتبتين وما احتوتاه من كتب ومراجع. ومن الموثق تاريخيا أن المكتبة الملكية كانت مكتبة خاصة بالأسرة المالكة وبالعلماء والباحثين، بينما كانت مكتبتا السيرابيوم والسيزاريون مكتبتنيّن عامتيّن مفتوحتيّن أمام عامة الشعب.

إن المؤرخ اميانوس مارلينوس[١] الذى أخبرنا فى زمنه أى فى القرن الرابع الميلادى عن شهرته فى أنه درس الطب فى الإسكندرية وكان ذلك أحسن تزكية يمكن أن ينالها طبيب فى ذلك العهد، فقد قيل إن آخر امرأة من نساء البطالمة وأذكاهن وهى كليوباترا السابعة قد حضرت مجالسهم العلمية باهتمام، وقد كان حضور "مركاس انطونيوس" زوج كليوباترا لمناقشاتهم سواء كان ذلك طوعا أو كرها منه لإرضاء الملكة أو قد يكون نتيجة لإلحاح منها. هذا وقد يكون من باب الخطأ إذن أن نعد إهداء " كليوباترا " مائة ألف اضمامة كان قد نهبها " مركاس انطونيوس " من مكتبات مدينة " برجام " نوعا من

التعبير عن الإخلاص للعلم من ناحيته بل محتمل أن الهدية كانت مجرد إظهار الولاء والإخلاص لهذه الملكة الساحرة "[٢] من خلال هذا النص يتضح أن المكتبة كانت ماتزال تقوم بدورها حتى القرن الرابع الميلادى. بما يشكك أيضا فى رواية فناء المكتبة كاملة أثر الحريق الذى نشب فى عهد يوليوس قيصر، وأن ما تم تلفه أو إحراقه فى هذا الحريق هو المكتبة الملكية وليس مكتبة السرابيوم كما تقدم.

ويقدم لنا سليم حسن فى موسوعته الشهيرة " مصر القديمة " خلاصة للقول فى هذا الخصوص بأننا إذا أردنا أن نصر على إيجاد صورة تفسر لنا كارثة اختفاء مكتبة الإسكندرية القديمة فإن المنطلق السليم يتطلب منا تفسير كيفية اختفاء المكتبات الأخرى القديمة اختفاء تاما. وقد يتساءل المرء ماذا حدث لمكتبات "برجام" و "روما" و "رودس" و "مرسيليا" ولا نزاع فى أن اختفاء هذه المكتبات القديمة يرجع إلى سبب بسيط وهو أن الكتب مثلها مثل الملابس أو الحذاء فإذا استعملتها بليت، ومن ثم فإن الكتب التى تبلى ولا يستبدل بها جديد غيرها تضيع إلى الأبد، وعلى ذلك فإن فقدان الكتب باستهلاكها دون وضع نسخ جديدة بدلا منها يستلزم حتما أن تتلاشى المكتبة على مر الزمن[٣].

ويرى الكاتب أن نظرية فناء الكتب بالاستهلاك صحيحة إلى حد ما ولكن هذا الفناء التام لا يحدث بهذه الطريقة فمن المؤكد أن هناك أيدى أنهت المكتبة وما تحتويه فمكتبة بهذا الحجم كانت تمارس دورها فى تأسيس العلم والمعرفة وتحتفظ بأهميتها فى العالم

حتى القرن السادس الميلادى لابد لنا أن نبحث عن الأسباب التى أدت إلى زوالها..

ثانيا : فناء المكتبة فى القرن الرابع الميلادى

هناك رواية تقول بأن مكتبة الإسكندرية القديمة قد هدمت وقضى عليها ونهبت فى عام ٣٦٦ م حين أحيل المعبد إلى كنيسة ومثل هذا حدث لمكتبة السيرابيوم والتى قضى عليها عام ٣٩٩ م فى عهد " ثيوزوسيوس الأول " ولم يكن فى الإمكان وجود مدرسة فلسفية أو مكتبة عامة بالإسكندرية فى نهاية القرن الرابع الميلادى إذ إن التعصب الدينى قد اشتد وطؤه، فجعل الحياة صعبة بالنسبة للمعلمين والطلاب الوثنيين، ولكن فيما أشار "ماسبيرو" فى كتابه "أوراق بردى يونانية من العصر البيزنطى" إلى وجود بعض المدارس والمكتبات واستمرارها، لأن أوراق البردى البيزنطية تتحدث عن متاحف للدراسة وأكاديميات فى الإسكندرية حوالى عام ٥٠٠ م، وقد كان"امونيوس بن هرمياس" تلميذ "ايرقلس" وأحد الأفلاطونيين المحدثين، رئيسا لإحدى المدارس، وكان العرب يعرفونه وكذلك تلامذته منهم "سنيليقوس واسقليبيوس وثيودرتس ويحيى النحوى" وقد كان زكريا المدرس أحد هؤلاء الطلاب أو المعلمين فى نهاية القرن الخامس الميلادى وكذلك صديقه "سويرس" أما فى النصف الأول من القرن السادس الميلادى، فكان ليحيى النحوى شهرة كبيرة وواسعة كأكبر

شخصية علمية فى الإسكندرية وإلى جانب هؤلاء العلماء – الفلاسفة الإسكندرانيين – تخرج فى مدرسة الإسكندرية فى القرن السادس الميلادى الطبيب الفيلسوف "سرجيوس" والطبيب "ايتيوس" الأمدى وفى أوائل القرن السابع كان بالإسكندرية من الأطباء "بولس الاجنايطى" وقد كان لكتب هؤلاء العلماء الفلاسفة تأثير كبير فى دراسات العرب الأولى[٤].

ويشعر الكثير من الباحثين أن الأكاديمية العلمية القديمة فى الإسكندرية قد ازدهرت وظهر بها مبادئ جديدة لتدريس الطب مستندة إلى آراء "جالينوس" الرئيسية، يضاف إلى ذلك أن تلاميذ الإسكندرية لخصوا كتابات قرن بها اسم أبقراط وذلك فى الفترة التى سبقت الفتح العربى الإسلامى[٥] كما تشير مصادر المؤرخين للعلوم فى الإسكندرية – إلى أهم الشخصيات الطبية، والتى حملت مشاعل العلوم الطبية وألفوا الجوامع ورتبوا المقالات الطبية لـ"جالينوس" ومدرسته فيذهب القفطى[٦] وابن أبى أصيبعة[٧] إلى القول: "والإسكندرانيون هم الذين رتبوا بالإسكندرية دار العلم، ومجالس الدرس الطبى، وكانوا يقرأون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذى تقرأ به اليوم عليه وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها، ويسهل على القارئ حفظها، وحملها فى الأسفار فأولهم على ما رتبه إسحق بن حنين: اصطفين السكندرى، وجالينوس، وانقلاؤس، ومارنيوس، وهؤلاء الأربعة عمدة الأطباء الإسكندرانيين، وهم الذين عملوا الجوامع والتفاسير[٨].

ثالثا : حريق المكتبة على يد عمرو بن العاص

هناك الكثير من المصادر التى أكدت على أن عمرو بن العاص هو من أمر بحرق مكتبة الإسكندرية القديمة والتى سيحاول الكاتب عرضها ومناقشتها فى الصفحات التالية.

١- عبد اللطيف البغدادى فى كتابه " الإفادة والاعتبار "

يقول عبد اللطيف البغدادى " وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده، وأنه دار العلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص بإذن من عمر رضى الله عنه[٩].

٢- ابن القفطى فى كتابه " مختصر تاريخ الحكماء "

حيث يقول ابن القفطى "كان هناك فى ذلك الوقت رجل يقال له يحيى النحوى، المصرى السكندرى تلميذ شاوارى، كان اسقفا فى كنيسة الإسكندرية بمصر، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقد النصارى فى التثليث، ولما قرأ كتب الحكمة واستحال عنده جعل الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا، ولما تحققت الأساقفة بمصر رجوعه، عز عليهم ذلك فاجتمعوا إليه وناظروه فغلب وزيف طريقه، فعز عليهم جهله واستعطفوه وأنسوه وسألوه الرجوع عما هو عليه وترك إظهار ما تحققه وناظرهم عليه، فلم يرجع فأسقطوه عن المنزلة التى هو فيها بعد خطوب جرت، وعاش إلى أن فتح ابن العاص مصر والإسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له من النصارى، فأكرمه

عمرو وعرف له موضعا، وسمع كلامه فى التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضا فى القضاء والدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يكاد يفارقه. ثم قال له يحيى يوما : انك قد أحطت بحواصل الإسكندرية، وختمت على كل الأصناف الموجودة بها، فأما ما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وما لا نفع لكم به فنحن أولى به، فأمر بالإفراج عنها.

فقال له عمرو : وما الذى تحتاج إليه؟

فقال يحيى : كتب الحكمة فى الخزائن الملكية، وقد أوقفت الحوطة عليها، ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها.

فقال له عمرو : ومن جمع هذه الكتب ؟

فقال له يحيى : إن بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية، لما ملك حبب إليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلا يعرف بزميرة، وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغة فى أثمانها وترغيب تجارها فى نقلها. ففعل ذلك فاجتمع من ذلك فى مدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابا. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة، أترى بقى فى الأرض من كتب العلوم مالم يكن عندنا ؟ فقال له زميرة قد بقى فى الدنيا شيء كثير فى السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل

وعند الروم، فعجب الملك من ذلك. وقال له دم على التحصيل، فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا.

فاستكثر عمرو ما ذكر يحيي وعجب منه، وقال "لا يمكننى أن آمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيي الذى ذكرناه، وأستأذنه ما الذى يصنع فيها، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وإما الكتب التى ذكرتها ، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى، وأن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة لنا بها، فتقدم بإعدامها.

فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وأحرقها فى مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فتذكروا أنها استنفدت فى ستة أشهر، فاسمع واعجب"(١٠).

٣- أبو الفرج الملطى فى كتابه " تاريخ مختصر الدول "

حيث يقول " فى هذا الزمان اشتهر بين الإسلاميين يحيى المعروف عندنا بغرماطيقوس أى النحوى، وكان اسكنرانيا يعتقد اعتقاد النصارى.... إلخ الرواية السابقة لابن القفطى " وقد أخذ عنه المستشرق ا.ج بتلر هذه الرواية فى كتابه فتح مصر.

٤- إيجون لارسن " تاريخ التكنولوجيا - الكلمة المطبوعة "

يعد كتاب إيجون لارسن بعيدا كل البعدعن الموضوع الذى نحن بصدده لكن أتى ذكر مكتبة الإسكندرية القديمة فى كتابه كما يلى

"تعرضت مكتبة الإسكندرية العظيمة للتخريب ثلاث مرات : كانت المرة الأولى عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة فى القرن الأول قبل الميلاد، وكانت المرة الثانية عندما بدد ثيوفليوس بطريق الإسكندرية مجموعة المخطوطات القيمة فى عام ٣٩٠ ميلادية، وكانت المرة الثالثة أثناء الفتح الإسلامى فى عام ٦٤٢م" (١٢).

٥- جورجى زيدان

حيث يقول جورجى زيدان فى كتابه تاريخ التمدن الإسلامى "أنشأ البطالمة فى القرن الثالث قبل الميلاد مكتبة فى الإسكندرية جمعوا إليها كتب العلم من أقطار العالم المتمدن فى ذلك الحين وتوالى على هذه المكتبة أحوال كثيرة من أيام الرومان إلى الفتح الإسلامى، وقد ضاعت بين إحراق ونهب، والمؤرخون من العرب وغيرهم مختلفون فى كيفية ضياعها، فمنهم من ينسب إحراقها إلى عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب، ويستدلون على ذلك ببعض النصوص العربية، وأشهرها أقوال أبى الفرج المالطى وعبد اللطيف البغدادى والمقريزى وحاجى خليفة " ثم يستطرد جورجى زيدان أدلته وأسباب اقتناعه بأن عمرو بن العاص هو الذى أحرق مكتبة الإسكندرية القديمة بأمر من عمر بن الخطاب فى الأسباب الآتية :

١- رغبة العرب فى صدر الإسلام فى محو كل كتاب غير القرآن، استنادا إلى الأحاديث النبوية وتصريح مقدمى الصحابة.

٢- جاء فى تاريخ مختصر الدول لأبى فرج المالطى عند كلامه

عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصه : " وعاش يحيى النحوى إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر.... إلخ الرواية التى قدمناها من قبل "

٣- ورد فى أماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر إحراق مكتبات فارس وغيرها على الإجمال، وقد لخصها صاحب " كشف الظنون " فى عرض كلامه عن علوم الأقدمين بقوله " إن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم كتب سعد ابن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى شأنها وتنقيلها للمسلمين، فكتب إليه عمر " رضى الله عنه " أن اطرحوها فى الماء، فإن يكن مافيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه، وإن يكن ضلالا فقد كفانا الله تعالى . فطرحوها فى الماء أو فى النار، فذهبت علوم الفرس "(١٣) وجاء فى أثناء كلامه عن أهل الإسلام وعلومهم " أنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب فى فتوحات البلاد "(١٤) ولابد من أصل نقل صاحب كشف الظنون عنه، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله "فأين علوم الفرس التى أمر عمر بن الخطاب " رضى الله عنه " بمحوها عند الفتح" (١٥).

٤- إن إحراق الكتب كان شائعا فى تلك العصور تشفيا من العدو أو نكاية فيه، فكان أهل كل شيعة أو ملة يحرقون كتب غيرها، كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لا تزال باقية إلى أيامه (٢١٣هـ) من مؤلفات المجوس، وقد عرضت عليه فلما تبين حقيقتها أمر بإلقائها فى الماء، وبعث إلى الأطراف أن من وجد شيئا من كتب المجوس فليعدمه.

ولما فتح هولاكو التترى بغداد سنة ٦٥٦هـ أمر بإلقاء كتب العلم التى كانت فى خزائنها فى دجلة، وكانت شيئا لا يعير عنه، مقابلة فى زعمهم بما فعل المسلمون الأول فى الفتح الإسلامى بكتب الفرس وعلومهم وقال آخرون ؤنه بنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضا عن اللبن والأرجح أنه أغرقها انتقاما من أهل السنة(١٦) وفى نفس المصدر " لما فتح الإفرنج طرابلس الشام أثناء الحروب الصليبية أحرقوا مكتبتها بأمر من الكونت برترام سنت جيل، وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن، فأمر بإحراق المكتبة كلها وفيها على زعمهم ثلاثة ملايين مجلد، ودفع الإسبان نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدى المسلمين فى أواخر القرن الخامس عشر.

٥- إن أصحاب الأديان فى تلك العصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة وإحراق كتب أصحابها من قبيل السعى فى تأييد الأديان الجديدة، فأباطرة الروم حالما انتصروا أمروا بهدم هياكل الأوثان فى مصر وإحراقها بما فيها الكتب وغيرها، وكان خلفاء المسلمين إذا أرادوا اضطهاد المعتزلة وأهل الفلسفة أحرقوا كتبهم، والمعتزلة كثيرا ما كانوا يتجنبون ذلك تحت خطر القتل فيستترون ويجتمعون سرا والخلفاء يتعقبون آثارهم ويحرقون كتبهم ومن أشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله السلطان محمود الغزنوى لما فتح الرى وغيرها سنة ٤٢٠هـ فإنه قتل الباطنية ونفى المعتزلة وأحرق كتب الفلاسفة والاعتزال والنجامة.

الهوامش:

١- سوف نقوم بالتعرف عليه في ملحق هذا الكتاب" أعلام ومفاهيم" .

٢- سليم حسن - موسوعة مصر القديمة -ج ١٤ ص ٢٤٩ .

٣- نفس المصدر ص ٢٦٠ .

٤- ماكس مايرهوف - من الإسكندرية إلى بغداد (بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب) - ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص ٤٠ ترجمة عبد الرحمن بدوي.

٥- د/ ماهر عبد القادر - حنين بن اسحق - العصر الذهبي للترجمة ص٤ دار النهضة بيروت ١٩٨٧ .

٦- القفطي - اخبار احكماء.

٧- ابن أبي اصيبعة - طبقات الأطباء.

٨- ماكس مايرهوف ص٤٨ ، ٤٩ .

٩- عبد اللطيف البغدادي (٥٥٥٨، ١١٦٢م- ٥٦٢٩، ١٢٣١م) - الإفادة والاعتبار - ولد وتوفي ببغداد، من أسرة موصلية وزار دمشق والقاهرة والقدس وحلب اهدى كتابه هذا إلى الملك العادل أيوب.

١٠- ابن القفطي (٥٥٦٨، ١١٧٢م - ٥٦٤٦، ١٢٣١م) هو أبو الحسن جمال الدين على بن يوسف بن ابراهيم الشيباني - موسوعي ومؤرخ واديب وفقيه مصري، ولد في قفط من نواحي قنا .

١١- ابو الفرج الملطي (٦٢٤ / ٥٦٥٨ - ١٢٨٦ / ١٢٢٦م) ولد في ملطية " مدينة تركية قرب الفرات " في عائلة يهودية من اصل انطاكي والده اعتنق المسيحية وقد عين راهبا في انطاكيا ثم اسقفا لملطية ثم حلب ثم بطريركا لعامة المشرق.

١٢- ايجون لارسن -تاريخ التكنولوجيا ص٣٠٩ .

١٣- مصطفى بن عبد الله - كشف الظنون - ج١ ص٤٤٦ .

١٤- نفسه ص٢٥ .

١٥- ابن خلدون ج ١ ص٣٢ .

١٦- ابن خلدون ج٣ ص٥٣٧ ، ج ٥ ص٥٤٣ .

تعريفات أبيقورية

مذهب أبيقور (٣٥١-٢٧٠ ق.م)

ومؤداه أن اللذة هى وحدها الخير الأسمى، والألم هو وحده الشر الأقصى، ويقر اللذة الحسية لأن الإنسان كالحيوان يسعى إلى لذائذه بفطرته، ولكنه حول اللذة الحسية إلى مذهب فى الزهد لأنه رأى أن كل لذة خير ما لم تقترن بألم فتصبح شرا، وأن الألم إذا نجمت عنه لذة وجب طلبه، فاللذة عنده تجمع بين الزهد والمنفعة، وقد دعا إلى الحياة السعيدة دون أن تستعبد الإنسان شهوته، وهو بهذا يؤثر اللذات العقلية والروحية على اللذات الجسمية والحسية، يقول أبيقور " الفلسفة محاولة جعل الحياة سعيدة بالنظر والمعرفة ".

أرسطية

جملة المذهب الأرسطى كما صوره صاحبه، وهو أوضح صورة "لفلسفة المعانى" وامتداد للأفلاطونية، مع الإلمام التام بالآراء الفلسفية السابقة، والتعويل على التجربة، والاعتداد بالعالم الحسى، وتضيف المشائية إليه آراء التلاميذ والشراح، وهى أوسع مذهب ميتافيزيقى عرف فى التاريخ القديم والمتوسط، ثم امتد أثره إلى اليوم.

الأفلاطونية

مذهب أفلاطون، وهو أوضح صورة للمثالية قديما، وعنه أخذت المثاليات المختلفة فى التاريخ المتوسط والحديث، ويتميز بتعويله على الرياضة موضوعيا وأخذه بالجدل منهجيا، وتصويره للحياة الإنسانية تصويرا روحيا وإيمانيا بقدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

الأفلاطونية الحديثة

مذهب أفلوطين وأتباعه، وأساسه القول بالواحد الذى صدر عنه الكثرة وفيه نزعة صوفية تمزج الفلسفة بالدين. وقال بالمذهب مدرسة الإسكندرية من القرن الثالث الميلادى إلى القرن السادس الميلادى، ويمتاز بنزعة توفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة مع الاعتداد بأفلاطون خاصة .

الغنوصية

مذهب تلفيقى يجمع بين الفلسفة والدين ويقوم على أساس فكرة الصدور، ومزج المعارف الإنسانية بعضها مع بعض، ويشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها، وفيه تلتقى الأفكار القبالية بالأفلاطونية الحديثة وبعض التعاليم الشرقية كالمزدكية والمانوية، وكان له أثره الفلسفى فى المسيحية والإسلام .

الفيثاغورية

مذهب فيثاغورس الذى يرد الأشياء إلى العدد، فجوهرها أعداد وأرقام، والظواهر كلها تعبر عن قيم ونسب رياضية .

المشائية

هى مذهب أرسطو، معتبرا فى منهجه وفى مبادئه الأساسية، وفى المعارف المستخلصة من هذه المبادئ بواسطة ذلك المنهج فيما يتصل بالطبيعة والإنسان وبالله، ومضافا إليه ماذهب تلاميذه فى التاريخ القديم والوسيط.

والمشاءون هم تلاميذ أرسطو، وسموا كذلك لأن الأستاذ كان يعلم وهو يمشى فى اللوقيون .

ميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة)

١ - اسم كتاب لأرسطو يجيء في ترتيبه بعد كتاب الطبيعة وقد أطلق عليه هذا الاسم "مشائي" من رجال القرن الأخير قبل الميلاد،

وهو اندرونيقوس الروسى الذى جمع كتب أرسطو.

٢ - أحد أقسام الفلسفة. وقد اختلف مدلوله باختلاف العصور تبعا لقصره على مشكلة الوجود أو المعرفة ومن أهم دلالاته :

أ - عند أرسطو والمدرسيين، هو علم المبادئ العامة والعلل الأولى، ويسمى الفلسفة الأولى أو العلم الإلهى.

ب - عند ديكارت، معرفة الله والنفس.

ج - عند كانط، مجموعة المعارف التى تجاوز نطاق التجربة وتستمد من العقل وحده.

د - عند كونت، معرفة بين اللاهوت والعلم الوضعى تحاول الكشف عن حقيقة الأشياء وأصلها ومصيرها.

هـ - عند برجسون، معرفة مطلقة نحصل عليها بالحدس المباشر.

كل التعريفات السابقة مصدرها المعجم الفلسفى - مجمع اللغة العربية .

المراجع

١- د/ ابراهيم مدكور - د/ يوسف كرم ، دروس فى تاريخ الفلسفة.

٢- ارنولد توينبى - تاريخ الحضارة الهيلينية.

٣- اميل برهيبة تاريخ الفلسفة.

٤- جوج سارتون، تاريخ العلم - دار المعارف ١٩٧٠ .

٥- د/ ذكى نجيب محمود، احمد امين قصة الفلسفة اليونانية.

٦- سمير حنا صادق، نشأة العلم، دار العين للنشر ٢٠٠٢ .

٧- لطفى عبد الوهاب، اليونان القديمة فى التاريخ الحضارى، دار المعرفة - الجامعية الإسكندرية .

٨- لطفى عبد الوهاب، دراسات فى العصر الهلنستى.

٩- د/ محمد البهى، الجانب الالهى من التفكير الاسلامى.

١٠- د/ محمد على ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى.

١١- د/ مصطفى العيادى، مصر من الإسكندر الاكبر حتى الفتح العربى .

١٢- د/ نجيب بلدى، تمهيد لتاريخ مكتبة الإسكندرية.

١٣- ه.ج ويلز، معالم تاريخ الانسانية، ترجمة عبد العزيز جاويد، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٦٩ .

١٤- وول ديورانت، قصة الحضارة، مجلد ١ ، الشرق الأدنى.

المحتوى

لا يستطيع أحد أن ينكر دور مكتبة الأسكندرية التنويري قديما وحديثا. من هنا جاءت أهمية هذا الكتاب الذي يقدم تأصيلا هاما لهذه المكتبة العريقة، حيث يتناول الجذور التاريخية لها، معتمدا على دراسة التطور العلمي والفلسفي لدورها في العالم القديم.

الغلاف.. د. خالد سرور



www.gocp.gov.eg

الثمن : جنيهان